

الجبهة الشعبية الديمقراطية
لتحرير فلسطين

حول
العفو والتطهير
في العمل الفدائي الفلسطيني

دراسات فلسطينية

حول العفوية والنظرية
في العمل الفدائي الفلسطيني

مقدمة

«نحو مناقشة ثورية وجذرية لقضايا النضال الفلسطيني» .
تحت هذا العنوان نشرت « الحرية » في العدد ٢٩ الصادر في
١٩٦٨-١٩ بحثا بعنوان « أزمة العمل الفدائي : فقدان
النظرية الثورية » وهو عرض لرأي بعض الاوساط التقدمية
في « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » « ١ » .

ومع ان تعاقب الاحداث على مسيرة العمل الفدائي منذ ذلك
الحين اثبت صحة عدد من المواقف الواردة في البحث المذكور .
فان عددا من الموضوعات التي تناولها البحث لم تعالج بالتعمق
الكافي لايضاها . ومع تفاقم الصدام بين الفدائيين الفلسطينيين
والسلطات الرجعية في الاردن « ٢ » ، فقد أصبح تعزيز الجدل
الدائر بين الثوريين الفلسطينيين اكثر الحاحا لتسليح نضالنا
بمزيد من الوضوح في مفاهيمنا ، ومزيد من الحسم فسي
مواقفنا ، ومزيد من الفعالية في حركتنا ، ومزيد من التحكم في
تكتيكنا لضمان تحقيق استراتيجية الثورة وافشال استراتيجية
الثورة المضادة مهما طال الزمن ، ومهما غلت التضحيات ..

وبهذا الصدد ، لا بد من دراسة واعية وهادئة وعلمية
لقضايا الثورة الفلسطينية .. مثل هذا البحث لا بد ان يحرص
على ابقاء المجال مفتوحا لاستكماله وتصحيحه بالمزيد من
المعلومات والوقائع ، ولا بد ان يجري الحوار ضمن اطار
ديمقراطي ، ولا بد ان يتميز بايجابية مطلقة لدفع عملية

« ١ » التي انشئت فيما بعد وشكلت الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين

« ٢ » اشارة الى صدام ٦٨/١١/٤

الجدل في طريقها التاريخي الصاعد . كذلك فان المنهج العلمي في البحث يقتضي ادراكا منا انه من بين العوامل العديدة الفاعلة في حركة المجتمع، فان المصالح الاقتصادية للقوى الاجتماعية وتناقضاتها الاقتصادية لها الدور الاساسي في تحديد المواقف والسياسات او في تحديد جبهات الصراع وقواه وفي تحديد التحالفات والمجابهات ..

ضمن هذه الخطوط سنتناول الموضوعات التالية ؛ وذلك مساهمة في عملية الجدل القائم وليس شمولاً لكافة قضايا الثورة الفلسطينية :

- ١ — الامبريالية العالمية وتصفية قضية فلسطين .
- ٢ — الصهيونية وتصفية قضية فلسطين .
- ٣ — الأردن وتصفية قضية فلسطين .
- ٤ — شعب فلسطين ورفض تصفية قضية فلسطين .
- ٥ — طريقان للحركة الثورية الفلسطينية .

الامبريالية العالمية

وتصفية القضية الفلسطينية

الامبريالية العالمية وتصفية القضية الفلسطينية

كيف نفهم الصراعات القائمة في المنطقة العربية ؟

يمكن ان نفهم الصراعات القائمة اذا عالجناها من خلال المحتوى الواسع للصراع العالمي القائم بين القوى الامبريالية المتسلطة وبين حركة التحرر الوطني في الدول المتخلفة .

فمن جهة : الامبريالية العالمية بقيادة امريكا التي تقاتل من اجل استمرار تسلطها على هذه المنطقة الغنية بالنفط ، وهو الثروة الاساسية في المنطقة . ومن جهة أخرى : انجماشير العربية التي تقاتل من اجل تحريرها الاقتصادي والسياسي ومن اجل الانعتاق من الاوضاع التعيسة التي أرغمت على العيش في ظلها ..

والبترول هو الثروة العربية الاساسية بالنسبة لمطامع الامبريالية في المنطقة . فما هو حجم هذه الثروة حتى تكون محور علاقة الامبريالية العالمية بنا ، واساس مشايرعها لاستمرار تسلطها على جماهيرنا ؟؟

فيما يلي احصائيات عن انتاج واحتياطي البلاد انعربية من النفط ، مقارنا بانتاج واحتياطي الولايات المتحدة الامريكية ، والمقصود من المقارنة ابراز أهمية النفط بالنسبة للامبريالية العالمية في الحاضر والمستقبل . (١)

«١» . الاحصائيات من الجدول رقم ١ من كتاب عبدالله الطريقي — البترول العربي سلاح في المعركة — من منشورات مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية

الانتاج السنوي	الانتاج السنوي
بالآلاف البراميل	بالآلاف البراميل
عام ١٩٦٦	عام ١٩٦٣

٣٠٠٢٩ ٧٦٥	٢٠٧٥١٠ ٠٥	الولايات المتحدة :
٣٠٣٨٧ ٩٣٠	٢٠٢٧١ ٣٩٥	البلاد العربية :

نسبة الزيادة	احتياطي النفط	احتياطي النفط
ببلايين البراميل	ببلايين البراميل	ببلايين البراميل
بين ٦٦-٦٣	عام ١٩٦٦	عام ١٩٦٣

٢٠٨٦	٣٧٠١٦	٣٤٠٣٠	الولايات المتحدة :
٤٠٠٣٦	٢٢٤٠٠٥	١٨٣٠٤	البلاد العربية :

هذه الأرقام تقول ان انتاج البلاد العربية من النفط أخذ يفوق انتاج الولايات المتحدة الاميركية، وان احتياطي النفط في البلاد العربية « والمعلوم ان غالبية خبراء النفط في البلاد العربية من الاجانب ، خاصة الاميركيين ، مما يزيد في أهمية التقديرات » يفوق احتياطي النفط في الولايات المتحدة الاميركية بعشرات المرات . وما يمكن ان نتوقعه ، اذن ، ان تسعى الامبريالية العالمية ، بشتى الوسائل لفرض مزيد من التسلط على الجماهير العربية ..

ولنعد للأرقام من جديد .. من يملك امتيازات استثمار هذه الثروة النفطية الهائلة ؟؟

٥٧٦٦ بالمائة من مجموع امتيازات البترول العربي تملكه شركات اميركية « (١) » .

٢٨٨٩ بالمائة من مجموع امتيازات البترول العربي تملكه شركات بريطانية « (٢) » .

والباقي ١٣٥ بالمائة من مجموع امتيازات البترول العربي تملكه شركات هولندية وفرنسية وايطالية بالاضافة للرأسمال المحلي .

اذن ، فالرأسمالية الاميركية لها القول الحسم في مصير الثروة النفطية العربية، ضمن معطيات الامتيازات القائمة ، والرأسمالية الاميركية لها الفعالية الحقيقية في انتاج وتسويق بترول العرب . اما بريطانيا فلها الدور الثاني بعد امريكا . اما باقي الرأسمالية في غرب اوربا ، والرأسمالية المحلية فلها دور « الشريك التافه » للرأسمالية الاميركية ... والحقيقة ان الكلمة الاولى والاخيرة بالنسبة للنفط العربي واستثماره والصراع السياسي المرتبط به تعود للرأسمالية الاميركية ، كما سنرى فيما بعد .

تبين لنا فيما سبق ان احتياطي النفط في البلاد العربية يفوق احتياطي النفط في الولايات المتحدة الاميركية بعشرات المرات .. اما انتاج النفط في البلاد العربية فقد تبين انه أخذ يفوق انتاج الولايات المتحدة . على انه حتى لو لم يكن

« (١) - نفس المصدر - ص ١٧ .

« (٢) - نفس المصدر - ص ٣٤ .

احتياطي البترول العربي أكثر من احتياطي البترول الأمريكي،
فإن أهمية البترول العربي تزداد بالنسبة للرأسمالية الأمريكية
لكون تكلفة إنتاج البترول العربي أدنى بكثير من تكلفة إنتاج
البترول الأمريكي .

البلد	تكلفة إنتاج البرميل الواحد بالسنت الأمريكي
الكويت	٦
المملكة العربية السعودية	٨ - ٩
مقارنة بـ :	
فنزويلا	٦٢
الولايات المتحدة الأمريكية	١٥١

إن انخفاض تكلفة إنتاج البترول العربي تزيد من أهمية
استثماره بالنسبة للرأسمالية الأمريكية إذا اعتبرنا متطلبات
السوق العالمية القائمة على إنتاج السلع وتبادلها وسيلة
لتراكم رأس المال وتراكم أرباح الرأسمالية على حساب
الشعوب الفقيرة .

وبالفعل فإن نسبة الربح لرأس المال الأمريكي عندنا عالية
جدا ، ففي عام ١٩٦٠ مثلاً ، بلغت النسبة المئوية للربح

«١» - جون واردر - رئيس مجموعة شركات الكونسورتيوم العاملة في
إيران ، في نشرة بلات أويل غرام تاريخ ٢٦ - ٥ - ١٩٦٧ وقد أورد الأرقام
عبدالله الطريقي في نفس الكتاب المذكور أعلاه ،
«٢» برونسون ادلمان في مجلة بتروليوم برس سرفيس ، عدد أيار ١٩٦٦
وقد أورد الأرقام عبدالله الطريقي في نفس الكتاب المذكور ص ٩

على رأس المال الأمريكي الموظف في عمليات الإنتاج «المقصود
إنتاج البترول» في المملكة العربية السعودية ٧١ بالمائة .
«١» .. ومقابل نسبة الربح العالية للرأسمال الأمريكي في
بلادنا نجد أن الأموال الأمريكية الموظفة في صناعة البترول
في بلدان أوروبا الغربية « وهي خاضعة لتحكم رأس المال
الأمريكي » كانت أعلى نسبة ربح عليها في نفس العام «١٩٦٠»
في سويسرا حيث بلغت ٣ - ٣٣ بالمائة «٢» ، أي أقل من نصف
نسبة ربح الرأسمال الأمريكي في المملكة العربية السعودية .
كذلك في عام ١٩٦٥ ، بلغت النسبة المئوية لعائدات
استثمارات الشركات الأمريكية في الخليج العربي ٨١ : ٤٥
بالمائة «٣» .

إن وفرة إنتاج واحتياطي النفط العربي وانخفاض تكاليف
إنتاجه وارتفاع نسبة الربح لرؤوس الأموال الأمريكية لا يمكن
أن تدفع الولايات المتحدة الأمريكية إلا لمزيد من التسلط على
خيرات أرضنا ومزيد من الاستغلال لكبح جماهيرنا العربية .
وإن تجارب الامبريالية العالمية مع الشعوب تعلمنا أن
الامبريالية ستلجأ دائماً لوسائل مختلفة لفرض استمرار
سيطرتها على خيرات الشعوب واستغلالها لقوة عمل الشعوب

«١» من دراسات منظمة البلدان المصدرة للبترول « أوبك » - راجع
عبدالله الطريقي - ص ١٠ .

«٢» - نفس المصدر - ص ١١

«٣» - نفس المصدر - ص ١٢

السوق الأمريكي مجالا أساسيا لتسويق او استهلاك النفط العربي .

فماذا تفعل الرأسمالية الأمريكية بالنفط العربي اذن ؟؟

انها تطرح جزءا منه كسلعة للتجارة في السوق الرأسمالية العالمية لجني مزيد من الأرباح ؛ وتستهلك الأجزاء الأخرى من البترول العربي لتسيير آلة الحرب الأمريكية وتحريك أجهزتها القمعية لفرض تسلطها على الشعوب في طول العالم وعرضه . وهذا ما سنبينه بالأرقام :

معظم البترول الذي تنتجه الشركات العاملة في الوطن العربي يصدر الى أوروبا الغربية واليابان وبعض بلاد آسيا وأفريقيا وأستراليا .

مثلا - ٦٥ بالمائة من مجموع الواردات البترولية لأوروبا الغربية يأتيها من البلاد العربية «١» .

ومن المعلوم كما بينا سابقا ان حصة الأسد في امتيازات البترول العربي تملكها الشركات الأمريكية . وقد اتضح معناها ان أوروبا الغربية تعتمد على البترول العربي بالدرجة الأولى . وهكذا فان الشركات الأمريكية لا تنهب خيراتها وتتحكم بجماهير شعبيها وحسب، بل تضاعف أرباحها من خلال تسويق البترول العربي، وهي بذلك تتحكم بواردات أوروبا الغربية من النفط ، وتقوم بعملية احتكار تجعلها في موقع القيادة القسرية

«١» - نفس المصدر - ص ١٢ .

الفقيرة . ومهما اختلفت هذه الوسائل ومهما تسترت وراء حكومات عميلة او محاولات الاستعمار الإسكاني . فهي دائما وسائل متصاعدة في عنفها ومهمتها القمعية . كذلك تطلعننا التجارب في العالم ان الشعوب الفقيرة قد تغلب على أمرها مرة اثر مرة ؛ لكنها دائما تراجه العنف بعنف مضاد . وتواجه القمع بالثورة ، وتقدم الضحايا على طريق الحرية حتى تصل الى تحريرها الكامل من كل استغلال .

ان الشركات الرأسمالية الأمريكية تسخر جماهيرنا العربية لتسرق خيرات بلادنا ؛ لكنها بعد نهب السلعة العربية الأساسية - النفط - ترمي بهذه السلعة السوى السوق الرأسمالية العالمية لتحقيق المزيد من الأرباح على حساب الشعوب . تؤمن الولايات المتحدة الأمريكية استهلاكها المحلي من النفط من إنتاجها المحلي ومن بترول فنزويلا ، أما النفط العربي فله دور آخر عند الرأسمالية الأمريكية التي تعتبر العالم كله مزرعة لها وسوقا واحدا تتلاعب به ..

ففي عام ١٩٦٦ مثلا : كانت الولايات المتحدة الأمريكية تستهلك ١١٨٢٢ر٠٠٠ برميلا من النفط في اليوم الواحد ، وكانت تنتج منه محليا ٩٦١ر٠٠٠ برميل في اليوم وتستورد ٢٢٠ر٠٠٠ برميل في اليوم فقط . وكانت لا تستورد من البلاد العربية استيرادا مباشرا الا ٣١٢ر٠٠٠ برميل في اليوم «١» . وهذه كميات صغيرة لا يمكن معها اعتبار

«١» - نفس المصدر « عبدالله الطريقي » - ص ١٨

للامبريالية المالية . ان الرأسمالية الاميركية تتعاون مع باقي عناصر المعسكر الامبريالي لاستغلال الشعوب ؛ ونفي نفس الوقت تتنافس الرأسمالية الاميركية مع باقي عناصر المعسكر الامبريالي لكونها تقوم بعمليات احتكار تنتهي الى اخضاع الرأسمالية في اوروبا الغربية لتحكم رأس المال الاميركي .

وللمزيد من الايضاح نورد ما يلي :
تستورد المانيا الغربية يوميا ١٣٥٤٠٠٠ برميل من البترول منها ٩٩٦٠٠٠ برميل يوميا من البلاد العربية « ١ » :
أي ان ٧٣٦ بالمئة من بترول المانيا الغربية مستورد من بترول العرب .

أما بريطانيا فتستورد ما يعادل ٦٩ بالمئة من مجموع استيرادها من النفط من الوطن العربي ؛ وهي تملك فقط ٢٨٩ بالمئة من امتيازات البترول في المنطقة « ٢ » .

وأما فرنسا فقصة صراع الرأسمالية الفرنسية مع الرأسمالية الاميركية تحة طويلة تفاقمت بعد الحرب العالمية الثانية وانتهت مؤخرا الى تقليص دور فرنسا في الحلف الاطلنسي والى اصرار فرنسا على مشاريعها الاوروبية وعلى مشاريعها في السوق المشتركة . بالنسبة لنا ، نذكر انقلاب النازي والدا ود ثم انقلاب البكر وجماعته في العراق ونذكر الصراع بين الشركات الفرنسية وشركة نفط العراق . ذلك الصراع الذي كان المحرك الحقيقي للانقلابات العسكرية المذكورة .

« ١ » - نفس المصدر - ص ٢٥

« ٢ » - نفس المصدر - ص ٢٤

وهكذا نرى ان الرأسمالية الاميركية تستأثر بانتاج النفط العربي ، ثم تعرضه كسلعة في السوق العالمية . وتستعمله لتثبيت سلطتها الاحتكارية في السوق الرأسمالية .

كذلك تستعمل الرأسمالية الاميركية بترولنا العربي لتسيير اساطيلها وتحريك اجهزتها القمعية لفرض المزيد من التسلط الامبريالي على الشعوب الفقيرة والمناضلة من اجل حريتها . وقد نشرت وزارة الدفاع الاميركية بعد حرب حزيران ١٩٦٧ معلومات عن اثر مقاطعة البلاد العربية للولايات المتحدة على الجهود الحربي الاميركي :

« قدرت وزارة الدفاع الاميركية النفقات الاضافية التي تعتقد انها ستتكبدها زيادة على ما تصرفه حاليا لتأمين المنتجات البترولية اللازمة للقوات الاميركية اذا ما انقطع ما تأخذه من الشرق الاوسط بما مجموعه ٢١ مليون دولار شهريا .

ويبلغ مجموع كميات البترول التي تحتاجها الولايات المتحدة للاغراض العسكرية حوالي ٤٠٠ مليون برميل في العام تكلف « ١٤ » بليون دولار ، وتبلغ حاجيات النشاط الحربي الاميركي في جنوب شرقي اسيا من المواد البترولية بحوالي ١٢٠ مليون برميل في السنة او ٣٢٨٧٦٧ برميل في اليوم . وتقدر نفقات تأمينها بمبلغ ٢٤٠ مليون دولار سنويا . ويؤمن ٦٥ بالمئة منها من منطقة الخليج العربي . . . وقبل ان تبدأ أزمة الشرق الاوسط - المقصود حرب حزيران ١٩٦٧ - كان الجيش الاميركي يحصل على ٦٥ مليون برميل في الشهر

من معامل تكرير الخليج العربي لشحنها الى جنوب شرق اسيا... وسيصبح من الضروري تأمين الكميات التي توقف الشرق الاوسط عن تصديرها من معامل التكرير الواقعة على خليج المكسيك والشاطئ الغربي للولايات المتحدة وفي منطقة البحر الكاريبي . ونظرا لان معامل التكرير هذه تقع على مسافة ابعد عن مراكز العمليات الحربية نسي فيتنام فان من الضروري استخدام ٣٥ ناقلة أخرى بالإضافة الى ٢٥ ناقلة تعمل الان بين الخليج العربي وجنوب شرق اسيا في نقل المنتجات اللازمة للجيش الامريكي في فيتنام . وتعتقد مصادر وزارة الدفاع ان من الممكن تأمين هذه الناقلات الإضافية ولكن ذلك يستدعي بالطبع تكاليف اضافية « ١ » .

يتبين لنا اذن ان الامبريالية العالمية يهملها بالدرجة الاولى سيطرتها على خيرات هذه المنطقة؛ والبترول أهمها، وتسويق البترول في السوق الرأسمالية العالمية، واستخدام البترول لتحريك اجهزتها القمعية لقمع الشعوب المناهضة من اجل الحرية والتقدم . لكن نتائج حرب حزيران ١٩٦٧ كان يمكن لها ان تضرب مصالح الامبريالية العالمية في المنطقة ، سواء بانقطاع تصدير النفط العربي الى الدول الغربية « وهو ما تراجعت عنه الدول العربية المصدرة للنفط » او باغلاق قناة السويس . لذا : نشطت الحكومة الامريكية بعد حرب حزيران لتحقيق تسوية في الشرق الاوسط الهدف منها :

« ١ » - عبدالله الطريقي - المصدر السابق - ص ١٩ - ٢٠

بشهادة مجلة النيوزويك الامريكية تحقيق ما يلي : « ... على الولايات المتحدة، كمنتفع غير مباشر من الهجوم الاسرائيلي الخاطف - اي حرب الايام الستة - ان تكون على الاقل ، قادرة على تحديد منطقة الشرق الاوسط حتى يمكن تسويق بترولها بكيفية مريحة؛ واستعمال ممراتها المائية لفائدة التجارة العالمية .. » « ١ » ..

لكن الخطر الذي كان يهدد المصالح الامريكية في المنطقة من جراء وقف تصدير النفط العربي، كان أيضا يهدد مصالح الحكومات العربية المصدرة للنفط والتي يهملها استمرار تدفق جزء من عائدات النفط الى خزائنها . كانت حكومات الدول العربية قد قررت اثر حرب حزيران ١٩٦٧ وقف تصدير النفط الى الدول التي « ساندت العدوان » ولكنها سرعان ما تراجعت عن هذا القرار « مع العلم ان المملكة السعودية - مثلا - لم توقف تصدير النفط لحظة واحدة » ، واستعاضت عنه بقرار يقضي بمساعدة الدول العربية التي تضررت من العدوان ، فكان نصيب الاردن ٤٠ مليون جنيه سنويا « بدل العجز الناتج عن احتلال الضفة الغربية » وكان نصيب الجمهورية العربية المتحدة ٩٠ مليون جنيه سنويا « بدل العجز الناتج عن اغلاق قناة السويس » ، وكان على الكويت والمملكة العربية السعودية وليبيا ان تتحمل وزر هذه المساعدة : فهل قامت هذه الحكومات بتقديم المساعدة للاردن

« ١ » - مجلة النيوزويك الامريكية ١٩ حزيران ١٩٦٧

والجمهورية العربية بدافع الاخوة العربية ؟ .. ليس في تاريخ الرجعية العربية ما يثبت ذلك . على العكس ، فان الحكومات العربية المصدرة للنفط لم تقم بهذه الاجراءات الا حفاظا على مصالحها ومصالح الامبريالية الامريكية . للتوضيح ، نذكر فيما يلي عائدات الحكومات العربية من استثمار البترول العربي « وقد رأينا فيما سبق ان الشركات الامريكية هي المتحكمة الاولى باستثمار البترول العربي » :

دخل الحكومات العربية من صناعة البترول
بملايين الدولارات

عام ١٩٦٥	عام ١٩٦٦	
٦٣٦	٦٧٢	الكويت
٦٣٩	٧٥٤	المملكة العربية السعودية
٤٢٢	٥٢٠	ليبيا
٣٦٨	٣٨٨	العراق
١٢٠	١٣٧	قطر والبحرين وابو ظبي

عائدات الحكومات العربية هذه من صناعة البترول تفوق بكثير المساعدات التي التزمت بتقديمها للاردن والجمهورية العربية المتحدة . وهذه المساعدة بالذات تحدد تقديمها حتى تتم تصفية اثار العدوان . كذلك قررت الدول العربية في مؤتمر الخرطوم بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، ان تسعى الى الوصول الى تصفية اثار العدوان بالعمل السياسي ..

وهكذا فان تقديم الدول العربية المصدرة للنفط المساعدة

للدول العربية المتضررة عن العدوان يعني بالنسبة لها اعطاء القليل من اجل الكثير ، اعطاء مساعدة محدودة للاردن ومصر بينما تتم تصفية قضية فلسطين ، مقابل استمرار تدفق الاموال على الحكومات العربية بواسطة استثمار الشركات الامريكية والغربية لخيرات الارض العربية وجهود الجماهير العربية ..

حقا ان لقاء البورجوازية العربية مع الامبريالية العالمية وتبعية البورجوازية العربية لرأس المال الامريكي تزداد وضوحا ، وما سعيها لتصفية قضية فلسطين الا سلوكا سياسيا يعكس علاقتها الاقتصادية ومصالحها المشتركة وتبعية مصالح البورجوازية العربية للامبريالية العالمية ..

و « ان البورجوازية العربية اذ تلهث وراء الحل السلمي « السياسي » انما تلهث وراء استمرار انتفاعها من لعب دور الوسيط في السوق الرأسمالية » . « ١ » .

تناولنا في هذا البحث جانبا من الدوافع الاساسية لسعي الامبريالية العالمية وتواطؤ البورجوازية العربية لتصفية قضية فلسطين . وسنتناول في البحث التالي الدوافع لاصرار اسرائيل على تسوية نهائية ، وبالمقابل دور الفلسطينيين في خضم المحاولات الجارية لتصفية قضيتهم ..

(١) مقال أزمة العمل الندائي ، فقدان النظرية الثورية (مجلة الحرية العدد ٤٢٩ في ٦/٩/٦٨) .

الصهيونية العالمية

وتصفية القضية الفلسطينية

1/1/75

1/1/75

1/1/75

1/1/75

1/1/75

1/1/75

1/1/75

1/1/75

1/1/75

يقول ماركس : « لا تبلغ اليهودية ذروتها الا مع اكتمال المجتمع البورجوازي ... لا نجد جوهر اليهودي المعاصر في التوراة والتلمود وحسب، بل نجده في المجتمع الحالي « ١ » .

وهذا ما نراه في واقع القضية الفلسطينية : ذلك ان الصهيونية بمشروعها لانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين وهو المشروع الذي باشرته مع بريطانيا منذ وعد بلفور عام ١٩١٧ . كانت « اي الحركة الصهيونية » صاحبة الدور الاول في التطور الراسمالي في فلسطين . وان دراسة التطور الراسمالي في فلسطين هي الأساس في محاولة فهم مواقف السلطات الصهيونية القاضية بتصفية قضية فلسطين . واعتراف الدول العربية بها واجاد سلام دائم على هذا الأساس . سنحاول ان نعالج هذا الرأي بالارقام :

في اوائل الثلاثينيات ، وبينما كان العالم يفرق في الازمة الاقتصادية العالمية الشهيرة، كانت فلسطين تدخل في مرحلة نهوض اقتصادي سريع . ففي عام ١٩٣٠ - ١٩٣٥ تمت في فلسطين مشاريع راسمالية كبيرة . عام ١٩٣٣ افتتحت الحكومة « حكومة الانتداب » ميناء حيفا كميناء تجاري عميق المياه . وازدادت اهمية ميناء حيفا عام ١٩٣٥ بافتتاح خط انابيب شركة نفط العراق القادم من كركوك، وعام ١٩٣٦ قامت بانجاز رصيف خاص لشحن البترول . في نفس الفترة كان الراسمال اليهودي يتقدم في عملية النهوض الاقتصادي

« ١ » كارل ماركس - « المسألة اليهودية » - ترجمة محمد ميتاني - ص ٦١ و ٦٢

في فلسطين، عام ١٩٣٠ حصلت شركة فلسطين المحدودة للبوتاس « راسمالها كان يهوديا بالكامل » على امتياز استخراج المواد الكيماوية من البحر الميت، وكذلك كان الراسمال اليهودي هو المسؤول عن انشاء شركة كهرباء فلسطين التي باشرت العمل بمحطة قوة كهربائية في وادي الاردن عام ١٩٣٢ .

هذه الفترة بالذات، كانت تشهد أسرع نمو في مشروع الوطن القومي اليهودي في فلسطين . فقبل عام ١٩٤٨ كانت أعلى نسبة للهجرة بين عامي ١٩٣٣ - ١٩٣٦ وبالتحديد كانت أعلى نسبة للهجرة اليهودية الى فلسطين عام ١٩٣٥ اذ بلغت ٦١،٨٥٤ مهاجرا . ووافق الزيادة في نسبة الهجرة اليهودية الى فلسطين تغير في نوعية المهاجرين . ذلك ان يهود المانيا قلما هاجروا بعد تأسيس النظام النازي في المانيا، وعام ١٩٣٦ كان اليهود الالمان يشكلون ٢٧ بالمائة من المهاجرين « يهود الى فلسطين » . عام ١٩٢٢ كانت نسبة اليهود في فلسطين تساوي ١٣ بالمائة من السكان ، وعام ١٩٣٦ أصبحت النسبة تساوي ٣٠ بالمائة من السكان ، « وبالتحديد كان تعداد اليهود عام ١٩٣٦ يبلغ ٣٨٤ر٠٠٠ يهوديا من اصل ١٣٠٠ر٠٠٠ نسمة هم سكان فلسطين حائذ « ١ » .

« ١ » - التاريخ السياسي لفلسطين تحت الإدارة البريطانية
مذكرة من الحكومة البريطانية للجنة هيئة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين
انسكوب - تموز - عام ١٩٤٧ - ص ٢٥ « بالانكليزية » .

وقد رافق الهجرة اليهودية الى فلسطين دخول رؤوس اموال ضخمة قدرت بحوالي ٨٠.٠٠٠.٠٠٠ جنيه فلسطيني في اواخر عام ١٩٣٦ . وان تدفق المهاجرين اليهود ورؤوس الاموال الى فلسطين، زادا كثيرا من النشاط اليهودي في حقل الزراعة والصناعة ... فارتفع عدد المستعمرات الزراعية اليهودية من ٩٦ عام ١٩٢٧ الى ١٧٢ عام ١٩٣٦ وازداد سكانها من ٢٨.٠٠٠ الى ٨٧.٠٠٠ . كذلك ارتفع راس المال اليهودي الموظف في الصناعة من ٢.٠٩٥.٠٠٠ جنيه فلسطيني عام ١٩٣٠ الى ١١.٠٦٤.٠٠٠ جنيه فلسطيني عام ١٩٣٧ . والجدير بالذكر ان سكان تل ابيب وحدها « وهي كلها يهودية » بلغوا حوالي ١٥٠.٠٠٠ نسمة ، وهي نسبة مرتفعة من اليهود ما زالت تتميز بها تل ابيب حتى اليوم — نفس المصدر — ص ١٥ — .

لكن رغم النهضة الاقتصادية في الثلاثينيات ، فقد ظلت فوارق شاسعة قائمة بين اوضاع السكان العرب واليهود الشرقيين من جهة واطراف المهاجرين اليهود الاوروبيين من جهة اخرى . مثلا كانت الاجور اليومية للعمال ، بالمل الفلسطيني « المل عشر قروش ، وكل مئة قرش تساوي جنيهه » :

اجر عامل اسيوي	اجر عامل اوروبي
عمال البناء : ١٠٠ — ١٨٠	٣٥٠ — ٤٠٠
عمال الفلاحة : ٨٠ — ١٢٠	٢٥٠ — ٤٠٠
عمال الطرق : ١٢٠ — ٤٠٠	٢٥٠ — ٥٠٠

وخلال الحرب العالمية الثانية حدث تضخم مالي في فلسطين . كان حجم النقد المتداول في فلسطين قد بلغ ٤٨٤٣٨١٤١ جنيه فلسطيني . وفي عام ١٩٤٦ بلغت صادرات فلسطين ٢٤٤٨٤٨٧٢ جنيه فلسطيني وبلغت الواردات الى فلسطين ٧.٠٤٣١٨٢٩ جنيه فلسطيني ، « نفس المصدر » . ومن العوامل التي ادت الى هذا التضخم في فلسطين خلال سنوات الحرب : وجود القوات البريطانية والحليفة الموجودة في الشرق الاوسط حينذاك ، والتوسع في النشاط الاقتصادي الناتج عن انقطاع طرق التجارة العادية ، والصناعات الجديدة التي طورت في فلسطين ، وتنشيط الانتاج الزراعي بشكل غير عادي .

لكن ابرز الاثار السلبية للحرب العالمية على اقتصاد فلسطين كان في صناعة الحمضيات . فقد انخفضت الصادرات من الحمضيات عام ١٩٤٢ — ١٩٤٣ الى اقل من ١٥.٠٠٠.٠٠٠ صندوق بينما كانت اكثر من ١٥٠.٠٠٠.٠٠٠ صندوق عام ١٩٣٨ — ١٩٣٩ . وخلال سنوات الحرب اصبح الماس ، المقطوع والمصقول في فلسطين ، يحتل اهم مركز في الصادرات الفلسطينية بدل الحمضيات التي كان لها المركز الاول في صادرات فلسطين من قبل . وصناعة الماس هذه كانت يهودية مئة بالمئة ، وكانت قد تأسست عام ١٩٣٩ ، وقد صدر من انتاج الماس عام ١٩٤٥ ما قيمته ٦٠.٠٠٠.٠٠٠ جنيه فلسطيني ، اما صناعة تصدير الحمضيات فكانت عربية بالدرجة الاولى . « نفس المصدر ص ٣٢ » .

سيطرة الرأسمال اليهودي

ورغم انخفاض نسبة الهجرة اليهودية الى فلسطين خلال فترة الحرب العالمية الثانية، « أقصى حد للهجرة بين عامي ١٩٣٧ — ١٩٤٦ بلغ ٢٧٥٦١ مهاجرا عام ١٩٣٩ » ، فقد ظل النهوض الاقتصادي في فلسطين يتمثل بالدرجة الاولى بتطور وسيطرة الرأسمال اليهودي . أصبح عدد اليهود ٦٢٥٠٠٠ من أصل ٨٨٧٠٠٠ مجموع سكان فلسطين . وفي نهاية عام ١٩٤٤ ارتفع عدد المستعمرات اليهودية الى ٢٥٩ وسكانها الى ١٣٨٠٠٠ . قبل ذلك بعام ، قدر رأس المال الموظف في الصناعة اليهودية بـ ٢٠٥٢٣٠٠٠ جنيهه فلسطيني . وفي عام ١٩٤٤ — ١٩٤٥ ، دفعت الجالية اليهودية في فلسطين حوالي ٦٣ بالمائة من مجموع الضرائب التي جمعتها الحكومة «حكومة الانتداب» — نفس المصدر — ص ٢٤ .

أما الاقتصاد العربي في فلسطين فقد ظل زراعيا بالدرجة الاولى، رغم ما طرا عليه من تطور ، خاصة في تنويع المحاصيل .

عام ١٩٢١ كانت المحاصيل الشتوية « الحبوب والعلف » تشكل ٧١ بالمائة من انتاج فلسطين الزراعي، اذا استثنينا الحمضيات . أما المحاصيل الصيفية ، وهي مريجة اكثر ، وتشمل الفواكه والخضار والزيتون ، فكانت تشكل ٢٩ بالمائة من مجموع الانتاج عام ١٩٢١ ثم ارتفعت الى ٦٧ بالمائة من مجموع الانتاج الزراعي عام ١٩٤٢ . وقد تم الجزء الاكبر

من هذا التحول في المزارع العربية . كذلك كانت الاراضي المزروعة بالحمضيات قد انخفضت الى ما دون ٥٠ بالمائة من الاراضي العربية وفي اوائل الثلاثينيات ، ولكنها اخذت تزداد من جديد في سنوات الحرب العالمية الثانية . لقد استفاد المزارعون العرب من الرخاء العام الذي أتت به الحرب : وتخلصوا من جزء من الديون التي أثقلتهم سابقا . لكن العرب في فلسطين ظلوا متخلفين عن اليهود بالنسبة لمعدل دخل الفرد، والتطور الصناعي والخدمات الاجتماعية « — نفس المصدر — ص ٣٣ .

وهكذا نرى ان النهوض الرأسمالي والتصنيع في فلسطين قبل عام ١٩٤٨ كان يعتمد على الرأسمال اليهودي ، بينما ظل النشاط الاقتصادي العربي نشاطا زراعيا بالدرجة الاولى . ونرى ان الرأسمال اليهودي كان له الدور الاكبر في النهوض الاقتصادي في فلسطين قبل عام ١٩٤٨ . وكان لهذا الوضع اثر مباشر على العلاقة بين فلسطين والدول العربية ومواقف الاخيرة قبيل وخلال حرب ١٩٤٨ .

ففي الظروف الفريدة التي خلقتها الحرب ، أصبحت فلسطين مصدرا أساسيا لكثير من السلع الخاصة بالاستهلاك المدني والعسكري في الشرق الأوسط . وأنشئت صناعات جديدة ، وازدادت الصادرات من البضائع المصنعة، غير البترولية ، من ٩٨٣٠٠٠ جنيه فلسطيني عام ١٩٤٠ الى

...١٩٦٩ر {جنيه فلسطيني عام ١٩٤٤ . وساعد على هذا التطور مسعوبة الحصول على المنتجات من مصادر ما قبل الحرب في أوروبا وأمريكا .. وقد ازدادت صادرات فلسطين الى بلدان الشرق الاوسط الاخرى من ٥١٨ر... جنينه فلسطيني عام ١٩٣٩ الى ٨٧١٨ر... جنينه فلسطيني ...١٩٤٤ر . وكانت الصادرات الى دول الشرق الاوسط تشكل ١٠ بالمائة من مجموع صادرات فلسطين عام ١٩٣٩ واصبحت تشكل ٦٠ بالمائة من مجموع صادرات فلسطين عام ١٩٤٤ .

وهكذا نرى ان الاقتصاد الفلسطيني كان في نمو ، ولكن الرأسمال اليهودي كان صاحب السلطة الاقتصادية في هذا التطور الاقتصادي لفلسطين، ونرى ان النمو الاقتصادي الفلسطيني كان ينتج عنه مزيد من التسويق للبضائع الفلسطينية في البلدان العربية ، وهي السوق الطبيعي الذي يمكن ان يسمح للنمو الرأسمالي في فلسطين بأن يأخذ مداه الكامل . فماذا كانت ردة فعل البورجوازية العربية حينذاك ؟؟

في كانون الاول عام ١٩٤٥ اعلن مجلس الجامعة العربية مقاطعته للبضائع اليهودية ... وانخفضت صادرات فلسطين للدول العربية المستقلة عام ١٩٤٦ الى ٣٣ بالمائة مما كانت عليه في العام السابق، بينما ارتفعت واردات فلسطين من الدول العربية بـ ١٠ بالمائة عام ١٩٤٦ عما كانت عليه عام

١٩٤٥ ، ولكن رغم هذا الانقلاب في العلاقات الاقتصادية فقد ظل مجموع الصادرات الفلسطينية « وكاد في ازدياد مضطرب منذ عام ١٩٤١ » يتزايد بسرعة عام ١٩٤٦ ، وذلك بسبب استعادة اسواق الحمضيات بالدرجة الاولى . - نفس المصدر - ص ٣٤ -

خلاصة ما تقدم ان فلسطين شهدت بين عامي ١٩٣٠ و ١٩٤٨ تطورا رأسماليا ، قادته الرأسمالية اليهودية ونتج هذا التطور في صراع بين الرأسمالية اليهودية في فلسطين والبورجوازية في الدول العربية ، خاصة بعد ان اخذت المنتجات اليهودية تغزو السوق العربية ..

- وكانت حرب ١٩٤٨ التي دفع عرب فلسطين مبن كافة الطبقات ، والفلاحون منهم بشكل خاص ، ثمنا باهظا فيها . وقسمت فلسطين بين الادارة الصهيونية وامارة شرق الاردن التي اصبحت مملكة بعد ضم ضفة الاردن الغربية ، بالإضافة الى قطاع غزة الذي أصبح تحت الادارة المصرية . وانتهت الحرب الى معاهدات الهدنة التي كانت لاحقة لاجتماعات الملك عبدالله بالصفاية واقتسامه الغنيمة معهم .

بعد عام ١٩٤٨ ، لا يمكننا الحديث عن فلسطين الا اذا تناولنا بالبحث كلا من اسرائيل والمملكة الاردنية ، وكلاهما حصيلة حرب ١٩٤٨ وتقسيم فلسطين .

التطور الاقتصادي في اسرائيل بعد ١٩٤٨

بعد عام ١٩٤٨ ، وحتى عام ١٩٦٤ : استمر التطور الاقتصادي في « اسرائيل » :

« حتى ١٩٦٤ ، عرفت اسرائيل نموا سريعا في اقتصادها، وتركيبا سكانيا يتوسع باطراد . فقد ازداد عدد السكان ثلاثة أضعاف ما بين تشرين الثاني « نوفمبر » ١٩٤٨ ونهاية ١٩٦٤ . ولمسنا تزايدا سريعا سواء في الانتاج الزراعي والصناعي أو في الخدمات . وفي الفترة ما بين ١٩٥٠ - ١٩٦٤ ازداد الانتاج الوطني الخام بنسبة ٤٥ بالمائة في قيمته الاجمالية . وفي الوقت نفسه كان المعدل السنوي لزيادة الانتاج الوطني قد وصل الى ١١ر٤ بالمائة، وقد حصلت هذه الزيادة بسرعة لدرجة انه أمكن مقارنتها بالزيادات العالمية الأكثر ارتفاعا . وكذلك فان نسبة الزيادة للشخص الواحد كانت مرتفعة نسبيا ٥٩ بالمائة في السنة . وقد تم التأكد من هذا الاتجاه بالصادرات الاسرائيلية أيضا . فقد ارتفعت الصادرات في المنتجات والخدمات من ٤٣ مليون دولار عام ١٩٤٩ الى ٢٢٤ مليون دولار عام ١٩٥٧ وإلى ٦٥٦ مليون دولار عام ١٩٦٤ ، لقد أدت عدت أسباب الى هذا التوسع الكبير، أهمها التطور التكنولوجي السريع للاقتصاد الاسرائيلي . والنسبة الكبيرة في اليد العاملة المتخصصة تخصصا عاليا بالنسبة الى مجموع اليد العاملة في اسرائيل ، بالإضافة الى

المبادرات الموفقة التي اتخذتها الحكومة وغيرها من أجهزة الدولة، كالاتحاد العام للشغل ، « المستدروت » والحركات التعاونية .

« لقد لعبت الهجرة دورا كبيرا في التطور الاقتصادي، فقدم كثير من العمال المهرة، ومن الخبراء البالغى الأهمية . كما أدت الهجرة الى التوسع السريع في السوق الداخلي : فكان ذلك حافزا شديدا لزيادة الانتاج .

« ودون ان تفقد الأسباب المذكورة اعلاه شيئا من أهميتها نستطيع ان نذكر عاملا آخر من عوامل التطور الاقتصادي الاسرائيلي في ما بين ١٩٤٩ - ١٩٦٤ : استقطاب رؤوس الاموال الخارجية التي تدفقت على اسرائيل . عرف دخول هذه الرساميل نسبة تصاعد كبيرة : فمن ١٦١ مليون دولار سنة ١٩٤٩ ، وصلت الى ٣٥١ مليون دولار سنة ١٩٥٨ وإلى ٦٢٧ مليون دولار سنة ١٩٦٤ . وفي اثناء الفترة نفسها كانت التوظيفات والودائع الطويلة والمتوسطة الاجل ، حوالي ستة مليارات من الدولارات .

« كان جلب رؤوس الاموال الاجنبية عامل تنشيط للاقتصاد الاسرائيلي . فالاقتصاد يشكو قحطا في الادخار الوطني ، وعلى كل حال ، فان الادخار الوطني لا يكفي الا لتغطية جزء من التوظيفات اللازمة لتطوير البلد ، ولامتصاص الهجرة . واذا كان الاقتصاد لم يعلن اكثر بسبب هذا النقص في الادخار ، فلان رؤوس الاموال الخارجية كانت تغذي

وهكذا نرى ان حالة مستمرة من النمو والازدهار الاقتصادي ظلت قائمة في اسرائيل بين عام ١٩٤٨ - ١٩٦٤ ، وذلك بفضل التدفق الكبير لرؤوس الاموال الاجنبية والهجرة الكثيفة كما ونوعا . في الفترة المذكورة ، وبفعل حالة الازدهار الاقتصادي هذه في اسرائيل ، لم تطرح على الادارة الصهيونية بحدة مسألة التقدم الاقتصادي لاسرائيل من حيث علاقته بالدول العربية ..

لكن ماذا حدث منذ عام ١٩٦٥ ؟؟

منذ عام ١٩٦٥ توقف نمو التوظيفات الاجنبية في اسرائيل . فقد توقفت التعويضات الالمانية ، وانخفضت التعويضات التي كانت تمنحها المانيا الاتحادية بصفة فردية ، وانخفضت المساعدات الامريكية ، وارتفعت مبالغ تسديد القروض الاجنبية .

« مثلا : بينما كان دخول رؤوس الاموال الاجنبية يصل الى ٦٢٩ مليون دولار لعام ١٩٦٤ فانه من المؤكد ان الرقم لن يتجاوز ٥٠٥ ملايين دولار في عام ١٩٦٦ ، ويبدو ان كل شيء يؤكد ان هذا الانخفاض سيستمر في المستقبل القريب .. بالاضافة الى انه بات من المؤكد ان أهمية رؤوس الاموال التي ستضاعف كثيرا بالنسبة لموارد الاقتصاد الوطني ، حتى ولو نجحت الحكومة في ايقاف الانخفاض المقبل في تدفق رؤوس الاموال هذه ، فمن المحتمل ان يتضاعف الانتاج الوطني الخام

القسم الاكبر من استثمارات رؤوس الاموال التي لا غنى للاقتصاد الداخلي عنها . والصناعة الاسرائيلية ضعيفة نسبيا ، خاصة في قطاع سلع التجهيز ، غير انه لم يكن لهذا الامر اي اثر سيء في الاقتصاد ، لان جلب رؤوس الاموال اتاح الحصول على مواد اولية ومنتجات صناعية أخرى من الخارج . ولكن ميزان التجارة الاسرائيلي ، بشكل خاص ، يشكو عجزا هاما ، ففي سنة ١٩٦٤ بلغ هذا العجز ٥٦٩ مليون دولار . ومع ذلك فان الناس لم تشعر ، بشكل خطير ، بأثر العجز لان تدفق رؤوس الاموال الاجنبية قد غطى العجز الى حد كبير ، بل انه خلق رصيدا ايجابيا بالعملات الصعبة - في آخر سنة ١٩٦٤ ، ارتفع هذا الرصيد الى اكثر من ٦٠٠ مليون دولار . وبكلمة أخرى فان الاقتصاد الاسرائيلي استطاع بفضل دخول رؤوس الاموال الاجنبية ، ان ينمو بسرعة رغم ضعف بنيته . « ١ » .

والجدير بالذكر ، في هذا المجال ، ان جملة العون الاقتصادي الاجنبي لاسرائيل بين عام ١٩٤٩ - ١٩٦٤ بلغ ٥٨٨٥٠٩ مليون دولار « ٢ » ...

« ١ » شارل زارحي - « أهمية السلام بالنسبة للاقتصاد الاسرائيلي » مجلة (الزمنة الحديثة) باريس - العدد ٢٥٣ - آيار ١٩٦٧ ، وقد ترجمه مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية - بيروت ، ضمن كتاب (من الفكر الصهيوني المعاصر) ص ٤٦٥ - ٤٦٧ .

« ٢ » يوسف صايغ (الاقتصاد الاسرائيلي) من منشورات مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية - بيروت - ص ٣٥٥ .

في اسرائيل في السنوات العشر المقبلة — حسب نسبة نمو سنوي تقدر بـ ٧ بالمائة — وحتى لو افترضنا ان تدفق رؤوس الاموال الاجنبية سيستمر في احسن الظروف، فانه لا يمكن ان يكون كافيا . ففي المستقبل ، لن تتمكن التوظيفات الاجنبية من ان تلعب الدور نفسه الذي لعبته في الماضي . كعامل اقتصادي اساسي ، وعامل منظم « ١ » .

بالاضافة الى انخفاض تدفق رؤوس الاموال الاجنبية الى اسرائيل منذ عام ١٩٦٥ ، فان الهجرة اليها ايضا انخفضت ، « ففي خلال السنوات العشر الماضية ، بلغ تزايد السكان نسبة سنوية تتراوح بين ٣ الى ٤ بالمائة . اما في ١٩٦٥ — ١٩٦٦ ، فقد هبط متوسط زيادة السكان الى ٢ بالمائة، وخاصة بسبب تناقض الهجرة ومن الأرجح ان هذا التذني سيتزايد في المستقبل القريب . اننا سنشهد اذن، ضعف عاملين اساسيين كانا في الماضي يغذيان النمو الاقتصادي : تدفق رؤوس الاموال الاجنبية، والتزايد السريع لعدد السكان . ولقد كان هذا الاتجاه كافيا لاصابة النمو الاقتصادي بضرر بالغ . وكما نعلم، فان الاقتصاد الاسرائيلي قد دخل عام ١٩٦٥ في مرحلة خطيرة من الجمود قاربت حدود الانهيار . فقد كانت نسبة زيادة الانتاج الوطني الخام في عام ١٩٦٥ تقدر بـ ٧ بالمائة، وفي سنة ١٩٦٦ تقدر بـ ١٢ بالمائة فقط مقابل ١٠ الى ١١ بالمائة في الماضي، اما في سنة ١٩٦٧ ، فيتوقع ان

« ١ » راجع مقال شاول زارحي ص ٤٦٧

تبلغ الزيادة نسبة ٥ بالمائة فقط . لقد خلق الجمود الاقتصادي وضعاً صعباً . ففي عام ١٩٦٦ ، وفي سوق العمل ، بلغت البطالة ٦٦ بالمائة من مجموع العمال — مقابل ٣٣ بالمائة في عام ١٩٦٤ . . . ويمكننا ان نلاحظ ان من اهم اسباب الجمود المالي التغيرات العميقة في القوي الاساسية للاقتصاد الاسرائيلي: الانخفاض النسبي والكامل لتدفق رؤوس الاموال، وانخفاض نسبة تزايد السكان . نفس المصدر — ص ٤٦٨ .

هذه الازمة الاقتصادية كانت آخذة في التفاقم قبيل حرب حزيران ١٩٦٧ . فقد « اوضح التقرير المالي للحاسب العام في اسرائيل ان عجز ميزانية الدولة خلال الاشهر التسعة الاولى من السنة المالية ١٩٦٦ — ١٩٦٧ « السنة المالية في اسرائيل تنبديء في ١ نيسان وتنتهي في ٣١ اذار » ، بلغ ٣٧٢ مليون ليرة اسرائيلية ، وان المصروفات قد زادت عما كانت عليه الحال في العام الماضي مبلغ ٤٤٨ مليون ليرة اسرائيلية ، وكان للزيادة في مجال الدفاع اوفى نصيب اذ بلغت ١٠١ مليون ليرة اسرائيلية، هذا وقد صرح ليفي اشكول، فيما بعد ، ان العجز في ميزانية الدولة للعام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ بلغ ٤٠٠ مليون ليرة اسرائيلية « ١ » .

كذلك فقد أعلن مكتب الاحصاء العام في اسرائيل يوم ٣ — ١٩٦٧ ان عدد العاطلين عن العمل في الاشهر الاخيرة من عام

١٣ — رفيع مطلق (اسرائيل قبيل العدوان) من منشورات مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية — بيروت . ص ١٢

١٩٦٦ ، وسجلوا في مكاتب العمل بلغ ٩٩ ألف شخص، أي ما يعادل ١٠.٣ بالمائة من مجموع عدد الاشخاص العاملين في اسرائيل «١» .

هذه معالم الازمة الاقتصادية في اسرائيل عندما شنت حرب حزيران ١٩٦٧ . وهي الازمة التي كان على الاقتصاد الاسرائيلي معها « ان يدخل مرحلة جديدة من مراحل تطوره ، مرحلة يجري التشديد فيها ليس على الموارد الخارجية ولكن على العناصر الداخلية للازدهار : تقوية أسس الاقتصاد ، جذب موارد رؤوس الاموال المحلية ، الخ ... وهذا مرتبط بموضوع السلام بين اسرائيل وجيرانها مما يجعل يوما جديدا يشرق على اسرائيل «٢» .

وقد شنت اسرائيل حرب حزيران ١٩٦٧ على الدول العربية ، واحتلت سيناء وغزة والضفة الغربية والجولان ، ثم اشترطت مقابل اي تنازلات منها شروطا تقضي بالاعتراف بسلطانها الاقليمية وتصفية الصراع السياسي بينها وبين الدول العربية .

لقد قاد الراسمال اليهودي التطور الراسمالي في فلسطين بين عامي ١٩٣٠ - ١٩٤٨ ، واستطاعت الراسمالية في فلسطين، ممثلة بالاجهزة الاقتصادية للحكومة الاسرائيلية « والهستدروت وأحتكاراته في طليعتها » ان تنعم بازدهار

اقتصادي بين عامي ١٩٤٨ - ١٩٦٤ ، بفعل تدفق رؤوس الاموال الاجنبية والمهاجرين الى اسرائيل . لكن الراسمالية في اسرائيل، بعد تلك الفترة، اخذت تجابه سنوات التدهور الاقتصادي . ومن أبرز التعبيرات عن هذا التدهور مقدار العجز في الميزان التجاري الاسرائيلي، اذ بلغ العجز ٥٦٩ مليون دولار عام ١٩٦٤ . و ٤٦٥ مليون دولار عام ١٩٦٦ . وبالنسبة لاسرائيل : « لم تكن هذه المسألة لتبعث على القلق عندما كان تدفق رؤوس الاموال الاجنبية ما يزال يتزايد ويغطي عجز التجارة الخارجية .. منذ ركود حركة دخول رؤوس الاموال الاجنبية في السنوات الاخيرة ، وهذه الموارد تميل الى الانخفاض النسبي بالنسبة للموارد العامة، فقد اصبح عجز التجارة الخارجية التي تبعث على القلق الشديد . «١»

ازاء هذه الازمة الاقتصادية التي برزت في اسرائيل منذ ١٩٦٥ ، أصبح على اسرائيل ان تخفض العجز في ميزانها التجاري ، وبالتالي ان « تبذل ما في استطاعتها لزيادة صادراتها . وهنا تصطدم اسرائيل بعقبات صعبة .

« فامكانات زيادة الصادرات الزراعية محدودة ، اولا بالطاقة الانتاجية للزراعة الاسرائيلية : قلة كميات المياه ومساحات الارض الصالحة للزراعة ، الخ ..

« وكذلك فان امكانات تصدير المواد الأولية المستخرجة من المناجم والمقالع هي أيضا محدودة : فاسرائيل ، كما هو ..

ميرورف ، ليست غنية بالمعادن وامكاناتها ، في هذا القطاع تركز اساسها على المعادن المستعملة في الصناعة الكيميائية . وأخيرا ، هناك الالماس الذي تصنعه اسرائيل وتصدره . وهذا قطاع ثبت أخيرا انه يتطور بشكل زمني . وحتى هذا ايضا ثمة حدود للتطور . فاسرائيل تؤمن اليوم من ٢٠ الى ٣٠ بالمائة من الالماس للعالم بحيث انه من الصعب زيادة هذا الرقم زيادة مهمة في المستقبل .

«ويتضح من هذه الظروف ان مستقبل الصادرات الاسرائيلية متوقف على توسيع صادراتها الصناعية — باستثناء الالماس — . وبالفعل ، فان الاحصائيات ، منذ انشاء الدولة ، تثبت ان الصادرات الصناعية هي التي حققت الزيادة الاكثر ديمية . وحتى في هذا المجال فاننا نتعرض لمصاعب خطيرة ، مصاعب مشتركة بين اسرائيل وكل الدول السائرة في طريق النمو السريع . من الصعب على الصناعات الحديثة ان تزاخم الصناعات القديمة ، الراسخة والقوية في اوربوا واميركا الشمالية » (١) .

وبهذا الصدد يلاحظ بالنسبة للصادرات الصناعية الاسرائيلية — من غير صادرات الالماس — «أي المنسوجات ، المواد البلاستيكية ، تجهيزات التبريد ، الآلات والتجهيزات الالكترونية ، الانابيب الحديدية والفولاذية ، أدوات المطاط ، الكتان المنصع ، المنتجات الحديدية ، المنتجات الكيميائية ، الفوسفات ، القطن ، الصوف ، النايلون .. الخ » فان

جزءا كبيرا من هذه الصادرات « ٤١ بالمائة منها فقط » يصدر للبلاد السائرة في طريق النمو في اسيا وافريقيا واوربوا الوسطى والشرقية ، بينما القسم الاعظم من الصادرات الزراعية والالماس يجد أسواقه في البلاد الصناعية في اوربوا الغربية واميركا الشمالية ، وهذا ما يوضحه الجدول التالي المأخوذ من « كتاب الاحصاء الاسرائيلي » لعام ١٩٦٦ :

الصادرات الاسرائيلية عام ١٩٦٥ بملايين الدولارات

الصادرات الزراعية	٥٧٤٧	١٠٤٨	—	٨٦٤١
الماس منحوت	١٢٥٦٦	٢١٤١	٧٤٠	١٥٣٤٧
صادرات صناعية أخرى	١٠٦٤٨	٧٧٤٦	٤٤٩	١٨٩٤٣
المجموع العام	٣٠٧٤٧	١٠٩٤٥	١١٤٩	٤٢٩٤١

الا انه في الوقت الذي تجابه اسرائيل ضرورة سد العجز في ميزانها التجاري ، وفي حين ان تطوير امكانات الصناعة الاسرائيلية لزيادة الصادرات الاسرائيلية الى البلدان السائرة في طريق النمو هي السبيل الاكثر فعالية لسد العجز الاقتصادي الاسرائيلي ، فعلى الصعيد الآخر لا يمكن لاسرائيل ان تقوم بذلك طالما بقيت مبتورة عن بلدان المنطقة العربية التي تشكل سوقا طبيعية لتصريف منتجات اسرائيل الصناعية .

« من المؤكد ان السلام اليهودي — العربي ، واستئناف العلاقات التجارية ، يمكنهما ان يلعبا دورا حيويا في صادرات اسرائيل في المستقبل . ولا بد من اعطاء أهمية كبرى الى كون الاقتصاد الاسرائيلي ، في عدد كبير من قطاعاته ، يعتبر مكيلا لاقتصاد البلدان العربية المجاورة ، فاسرائيل تفتقر الى عدد من المواد التي تصدرها البلدان العربية — القطن ، السكر ، الحبوب ، الزيت ، اللحم ، ومواد أولية أخرى . وبالمقابل . يمكن لاسرائيل ان تزود البلدان العربية بعدد من المنتجات الصناعية التي تنقصها . وفي هذا المجال توجد أرض للتفاهم على تجارة متبادلة تعود بالفائدة المشتركة على كلا الطرفين . (١) »

ان اسرائيل تشكل سوقا محدودة جدا لانتاجها المحلي مما يحد من التوسع الصناعي فيها ، ذلك ان الصناعة الحديثة، خاصة الصناعات التصديرية، لا بد ان تستند الى سوق واسعة كشرط لتطورها . كذلك فان اسرائيل تفتقر نسبيا للمواد الأولية خاصة المناجم المعدنية ومصادر الطاقة، سواء النفطية أو الكهربائية . . وفي نفس الوقت فان البلاد العربية تشكل سوقا واسعة وتحتوي مصادر طاقة يمكن للصناعة الاسرائيلية ان تنهض على أساسها ، اذا اتيت للعلاقات بين اسرائيل والدول العربية ان تقوم على اساس اعتراف متبادل وتبادل تجاري حر » أي تحكمه علاقات السوق

الراسمالية» ، أي اذا تمت تصفية سياسية لقضية فلسطين . هذا هو سبيل اسرائيل الاضمن لسد العجز في ميزانها التجاري ولوقف حالة التدهور الاقتصادي الذي تلا انقطاع رؤوس الاموال الاجنبية عن اسرائيل . وهذا هو سبيل الراسمالية اليهودية في فلسطين للحفاظ على مكتسباتها منذ الثلاثينيات من هذا القرن . وهذا هو الاساس المادي لاصرار اسرائيل على ايجاد تصفية نهائية لقضية فلسطين ولمشكلة الشرق الاوسط .

أما بحثنا حتى الان فيمكن تلخيصه بما يلي :

● الامبريالية العالمية؛ بقيادة الولايات المتحدة الاميركية ، يهمها استمرار تدفق النفط العربي للاستفادة منه في التجارة العالمية أو في تحريك قواتها القمعية، وبهمها استعمال المرات المائية في الشرق الاوسط لصالح التجارة العالمية؛ وكل ذلك من اجل احكام تسلطها على خيرات العالم وشعوبه لجني المزيد من الارباح على حساب الشعوب . وضمن هذا الاطار يهم الامبريالية العالمية تصفية قضية فلسطين .

● الراسمالية اليهودية في فلسطين كانت القيمة على النهوض الراسمالي في فلسطين في الثلاثينيات والاربعينيات من هذا القرن، وهي قد استطاعت بفعل تدفق رؤوس الاموال الاجنبية ان تستمر في تطويرها الراسمالي بين ١٩٤٨ — ١٩٦٤ . ولكنها ، عندما انقطع مورد رؤوس الاموال الاجنبية دخلت في

مرحلة التدهور الاقتصادي ولم يبق لها الا النهوض الصناعي لزيادة صادراتها ووقف التدهور الاقتصادي . لكن النهوض الصناعي في اسرائيل غير ممكن دون انفتاح السوق العربية الواسعة التي يمكن ان تؤمن المواد الاولية ومصادر الطاقة كما يمكنها ان تستوعب الانتاج الصناعي الاسرائيلي . ضمن هذا الاطار ، يهم السلطات الصهيونية في فلسطين ان تصل الى اعتراف الدول العربية باسرائيل والى مفاوضات مباشرة معها والى تصفية لقضية فلسطين وفق شروطها .

● كذلك تطرقنا الى علاقة البورجوازية العربية بالامبريالية

العالمية وتبعيتها لها ، وكونها تستفيد من تصفية قضية فلسطين بمقدار منسجم مع ما تستفيد به الامبريالية العالمية والشركات الامريكية المهيمنة عليها ، من تصفية قضية فلسطين بقي علينا ان نتناول الدول العربية المعنية مباشرة بالصراعات الناتجة عن قضية فلسطين ، ونبحث علاقتها المادية بمشاريع تصفية قضية فلسطين . وفي هذا الاطار ، نجد ان للاردن الدور الابرز في العمل لتصفية قضية فلسطين ، وهو ما سيتضح في سياق البحث .

كذلك علينا ان نتناول واقع الشعب الفلسطيني وعلاقته بمشاريع تصفية قضية فلسطين ، وان نتناول الحركة الثورية لشعب فلسطين بأفاتها ومهامها ..

الاردن

وتصفية القضية الفلسطينية

كان من أبرز نتائج حرب ١٩٤٨ ان قسمت فلسطين ،
ووجدت بالتالي اسرائيل وارتبطت الضفة الغربية بالاردن .
ولم يعد بالامكان بحث قضية فلسطين دون اعتبار هذا
الترابط بين ضفتي نهر الاردن . لكن علاقة الضفة الشرقية
للاردن بقضية فلسطين لها اطاران مرتبطان . اطار علاقة
فلسطين بالدول العربية المجاورة والمعنية مباشرة في
الصراعات القائمة في الشرق الاوسط ، واطار خاص بالاردن
واقتصاديات المملكة الاردنية . لذا يجب بحث علاقة هذين
الاطارين : اهمية التبادل التجاري في المنطقة ، والبناء
الاقتصادي الاردني .

العلاقات التجارية

بالنسبة للتبادل التجاري في المنطقة تبرز اهمية فلسطين
للدول العربية المجاورة في مجالات ثلاثة : استيعاب السوق
الفلسطينية لجزء كبير من الصادرات العربية ، ودور الموانئ
الفلسطينية في تجارة الترانزيت ، واهمية فلسطين في تسويق
النفط العربي .

لا يبرز اهمية السوق الفلسطينية بالنسبة للاقتصاد العربي
يمكن مراجعة العلاقات التجارية التي سبقت حرب ١٩٤٨
والمقاطعة الاقتصادية بين الدول العربية واسرائيل .

وفيما يلي ميزان فلسطين التجاري مع الدول العربية في
تلك الفترة :

عام ١٩٣٨	عام ١٩٤٤	عام ١٩٤٦
صادرات الى البلاد العربية		
بملايين الجنيهات	٠٠٦	٦٠٨
واردات مستوردة من البلاد		
العربية	٢٤٠	١٦٠٦
بملايين الجنيهات «		
الميزان التجاري للفلسطيني		
بملايين الجنيهات «	١٤٤	٩٠٨
		١٠٠٧

وهكذا كان الميزان التجاري الفلسطيني دائما لصالح البلاد العربية المجاورة ، ومما ساهم في ذلك كون فلسطين في ذلك الوقت سوقا مهما للصادرات الزراعية من البلاد العربية المجاورة وكذلك ظروف الحرب العالمية الثانية التي نشطت التجارة الاقليمية في المنطقة ، وكذلك ارتفاع معدل واردات الفرد الواحد في القطاع اليهودي في فلسطين « مثلا عام ١٩٣٩ كان اليهود يشكلون ٣٠ بالمائة من سكان فلسطين ولكن ثلاثة ارباع الواردات الفلسطينية يمكن ان تعزى للقطاع اليهودي حينذاك » - « نفس المصدر » .

وبعد عام ١٩٤٨ ، وخاصة بعد عام ١٩٦٥ ، حدث تطور معاكس، اذ ازدادت أهمية السوق العربية بالنسبة لضرورات

١ - ميخائيل شيفر - (نتائج المقاطعة العربية على الاقتصاديين العربي والاسرائيلي) «مجلة الأزمنة الحديثة» - باريس العدد ٢٥٣ - ايار ١٩٦٧ .
وقد ترجمه مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية بيروت - ضمن كتاب (من الفكر الصهيوني المعاصر) ص ٤٩٣ ، الجدول رقم ٦ .

التوسع الصناعي للرأسمالية اليهودية في فلسطين « راجع الجزء الثاني من البحث - الصهيونية وتصفية قضية فلسطين - خاصة العرض المتعلق بتفاقم الازمة الاقتصادية في اسرائيل منذ ١٩٦٥ » . لكن السوق الفلسطينية تبقى على أهميتها بالنسبة للبلدان العربية المجاورة لفلسطين، وذلك لاعتبارات اساسية أخرى هي تجارة الترانزيت العربية وتسويق البترول العربي .

عام ١٩٤٦ مثلا استورد الاردن والعراق بملا قيمته ٢٠٠.٠٠٠ ر. ٢٠٠ ر. جنيه بضائع مرت بالترانزيت عبر فلسطين، لكن هاتين الدولتين صدرتا بها قيمته ٥٠.٠٠٠ ر. جنيه فقط بضائع مرت على فلسطين « نفس المصدر » . هذا يعني ان فلسطين، في ذلك الحين، وبالنسبة للتجارة العراقية والاردنية، اقتضرت على لعب دور بلد الترانزيت في ميدان الواردات بالدرجة الاساسية ، لكن مع تطور الانتاج العربي، في كافة الميادين، فان فلسطين تزداد أهمية ، وبشكل تدريجي : بالنسبة للصادرات العربية .

بعد عام ١٩٤٨ ، لم تعد فلسطين تستخدم كطريق تجاري الى الاردن والعراق، فتحولت تجارة البلدين نحو طرقات أقل ملائمة، اذ وجد منفذان الى البحر الابيض المتوسط . المنفذ الأول يمر بخليج العقبة ويصل الى المتوسط عن طريق قناة السويس، والمنفذ الثاني يستخدم الشواطئ السورية اللبنانية . هذان المنفذان يزيدان من نفقات النقل بالنسبة

لواردات وصادرات الاردن والعراق . وخليج العقبة قليل الأهمية ايضا لانه بحاجة لتوظيف رؤوس أموال كثيرة لتحسين مرفأ العقبة والطرق التي تؤدي اليه . اما استخدام الشواطئ السورية واللبنانية فيعود بالفائدة على سوريا ولبنان، خاصة لبنان، ولكن استخدام هذه الشواطئ يحد من تجارة الاردن. ذلك ان الالتفاف حول الشواطئ اللبنانية، شمالا او جنوبا، يزيد من تكاليف النقل ويحول، بالتالي، دون تزايد الصادرات الأردنية . لذلك نرى ان اسرائيل قادرة على تصدير الأملاح والمواد الكيماوية المستخرجة من البحر الميت اكثر بكثير من قدرة الاردن على ذلك ، مع العلم ان في الاردن شركات برؤوس أموال اجنبية تقوم باستخراج الأملاح من البحر الميت.

كذلك عندما حاولت الحكومة السورية تنشيط مرفأ طرطوس هذا العام، زادت الضرائب على شاحنات الترانزيت القادمة من لبنان عبر الاراضي السورية . لكن ذلك القرار لم يضر بلبنان وحسب ، بل كان من شأنه زيادة تكاليف نقل صادرات الاردن ووارداته . وقد رأينا كيف سارع الاردن بارسال وفد الى دمشق لمفاوضة الحكومة السورية حول استثناء الفوسفات الاردني المصدر من الزيادة في الضرائب . ذلك ان شحن الفوسفات الاردني من شواطئ سوريا الواقعة الى الشمال من لبنان او زيادة الضرائب عليها ، من شأنه ان يحد اكثر من عائدات رؤوس الاموال الأردنية من هذا الانتاج .

وضمن نفس الاطار يمكننا فهم أحد اقتراحات الحكومة

الاسرائيلية لتصفية قضية فلسطين ، وهو الاقتراح الذي أبدت الحكومة الاسرائيلية فيه استعدادها لمنح الاردن نفرا على شاطئ البحر المتوسط — طبعاً كجزء من التصفية النهائية للنزاع القائم — على حساب شعب فلسطين ولصالح الرأسمالية اليهودية والرأسمالية في الاردن ..

وبالاضافة الى أهمية الموانئ وتجارة الترانزيت عبر فلسطين فان للبتترول ايضا دورا مهما في امكانيات التبادل التجاري والعلاقات الاقتصادية في المنطقة، وفي تحديد مواقف الحكومات العربية من الصراعات القائمة حول قضية فلسطين. والبتترول، كما ورد في القسم الاول من البحث، هو اهم انتاج عربي تطمح به الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الاميركية .

عام ١٩٣٦ مر النفط للمرة الاولى في الانابيب التي تصل بين كركوك في شمال العراق وبين حيفا على الشاطئ الفلسطيني. وحتى عام ١٩٣٩ ظلت فلسطين تستخدم فقط بمثابة بلد ترانزيت بالنسبة للبتترول العراقي . وفي عام ١٩٣٩ ابتدأت مصفاة حيفا تعمل، ومنذ تلك السنة أصبح الجزء الاكبر من البترول العراقي يكرر في حيفا .. « كانت الصادرات العربية الى فلسطين تتألف بالدرجة الاولى من منتوجات زراعية . وكانت فلسطين تزود الدول العربية بمنتوجات صناعية بشكل خاص، لكنها كانت تشتري اكثر مما تبيع . قبل الحرب العالمية الثانية لم تكن تزود الدول العربية الا بـ ١ بالمائة من

وارداتها . اما في عام ١٩٣٩ ، عندما ابتدأت مصفاة حيفا بالعمل ، أصبحت فلسطين المزود الاول للدول العربية المجاورة بالمنتجات البترولية ، وابتداء من عام ١٩٤١ اصبح البترول المكرر يشكل حوالي ثلثي صادرات فلسطين للدول العربية . ومن ١٩٤٣ الى ١٩٤٥ كانت فلسطين تزود الدول العربية بحوالي عشر وارداتها - بما فيها البترول - «نفس المصدر»

وبالاضافة الى شبكة انابيب النفط بين كركوك وحيفا التي ابتدأت عملها عام ١٩٣٦ ، كانت شبكة ثانية مماثلة للانابيب في طريقها الى الانتهاء في نيسان ١٩٤٨ عندما اوقف عمل الشبكتين معا . « تسب هاتان الشبكتان ما مجموعه تسعة ملايين طن تقريبا في السنة . في عام ١٩٤٨ ، كان من المقرر ان تنقل كل البترول العراقي الى شواطئ المتوسط ، اما حاليا فان اربع شبكات تعمل بين كركوك والمتوسط ، ثلاث منها تنتهي في طرابلس في لبنان والرابعة في باتياس في سوريا . اما طاقتها الاجمالية فتقدر بـ ٤٨ مليون طن سنويا . ان استخدام الشبكتين اللتين تنتهيا في حيفا من شأنه ان يزيد حوالي خمس الطاقة الاجمالية لنقل البترول من العراق الى المتوسط بطريق البر . كذلك لو لم تكن هناك مقاطعة عربية .. لكان بإمكان « شركة بترول العراق » ان تقيم شبكة خطوط ثالثة تمر في فلسطين » ربما انطلاقا من ابار البترول في البصرة في جنوب العراق » .. كذلك فان الشبكة التي تصل بين رأس تنورة في العربية السعودية وبين صيدا في لبنان « التابلاين » كانت

انتهت عند حيفا .. يمكن ان تقدر الخسارة السنوية التي المت بالعراق على اثر ترك الشبكتين الموصلتين الى حيفا بـ ٣٥ مليوناً من الدولارات . وهذا الترك يكبد اسرائيل كذلك خسارة فادحة . كان بوسع اسرائيل ان تقبض مبلغ مليون دولار كاتأوة تدفعها شركة بترول العراق . لكن خسائر اسرائيل لا تكاد تذكر بالنسبة لخسائر العراق » . نفس المصدر .

هكذا نجد ان الشركات الاحتكارية المنتشرة في الوطن العربي والراسمالية العربية التابعة لها تدعم مشاريع تصفية قضية فلسطين ، وذلك لزيادة عائداتها من زيادة التجارة الإقليمية والعالمية عبر الاراضي الفلسطينية . وهي بذلك تلتقي مع الراسمالية اليهودية في فلسطين التي يهيمها تصفية قضية فلسطين لتنتفح امامها السوق العربية الواسعة ، وذلك حتى يصبح بإمكانها تنشيط الصناعة اليهودية للخروج من الازمة الاقتصادية والوضع المتدهور الذي بدأ في اسرائيل منذ عام ١٩٦٥ .

يضاف الى ذلك ان تصفية قضية فلسطين ستتيح للبورجوازية العربية والراسمالية اليهودية التقليل من نفقات الدفاع التي تخصصها لبناء جيوشها النظامية المحترمة . وعلى سبيل المثال بلغت النسبة المئوية لنفقات الدفاع في الانتاج الوطني العام عام ١٩٦٣ في منطقتنا ما يلي :

ج. ع. م.	٨	بالمائة
العراق	٧	بالمائة
سوريا	٨	بالمائة
الأردن	١٤	بالمائة
لبنان	٣	بالمائة
إسرائيل	١٠	بالمائة

مصالح الرأسمالية الأردنية

هكذا نرى ان الرأسمالية العربية التابعة لرؤوس الاموال الاجنبية « بما في ذلك الرأسمالية في الاردن » تخسر من جراء اغلاق السوق الفلسطينية ، ومن جراء عدم استعمالها للشواطئ الفلسطينية في واردات الترانزيت وفي تسويق صادراتها ونفطها الى الاسواق العالمية . لكن أهمية فلسطين بالنسبة للاقتصاد الأردني بالذات لا تقتصر على دور فلسطين في التبادل التجاري الاقليمي والعالمي . ذلك انه بعد عام ١٩٤٨ ، وبعد تأسيس المملكة الأردنية على انقاض جزء من فلسطين ، اصبح للضفة الغربية لنهر الاردن دور كبير في البناء الاقتصادي للمملكة الأردنية الهاشمية ، وذلك لان الاراضي الفلسطينية التي ضمت للاردن هي اخصب اراضيها وفيها من الآثار والمقدسات الدينية ما يجعلها موردا زراعيا وسياسيا اساسيا للمملكة الأردنية .

« الضفة الغربية منطقة زراعية خصبة وهي تقدم معظم انتاج الاردن من الفواكه والخضار والتبغ الذي قدر عام

١٩١٤ بـ ٨٧٢ر٠٠٠ طن مسد منها ما قيمته ٢ر٥ مليون دينار » سنة ١٩٦٥ . اما الصناعة في الضفة الغربية فهي ضئيلة نسبيا وتقتصر معظمها على الخدمات « كهرباء ومياه » وصناعات زراعية تعتمد على الانتاج المحلي « زيت ، صابون ، معطيات وصناعات يدوية سياحية ، التطريز ، الصدف ، خشب الزيتون » ، وبعض الصناعات الاستهلاكية البسيطة . اما المشاريع الصناعية الكبيرة في الاردن فمعظمها في الضفة الشرقية . وفي الضفة الغربية عدة مشاريع ري كبيرة اهمها مشروع عين سامية قرب رام الله .

« ومن اهم الموارد الاقتصادية في الاردن السياحة التي تتركز بشكل رئيسي على الضفة الغربية . وقد بلغ عدد الزائرين سنة ١٩٦٤ : ٣٨٧٣٤٣ وقد دخل الاردن عن طريق السياحة عام ١٩٦٤ بسبعة ملايين دينار . وقد ازداد الرقم عن ذلك كثيرا في السنتين الماضيتين . وتضم القدس العربية كل المدينة القديمة . وفيها مقدسات الديانات الثلاث كالمسجد الأقصى وقبة الصخرة وحائط المبكى وكنيسة القيامة وجبل الزيتون وحديقة الجسمانية . وبالقرب منها مطار حديث . ويأتي لزيارتها آلاف السياح كل سنة من مختلف اقطار العالم » (١) .

لكن الحكم الأردني والبورجوازية الأردنية وقد كسبوا الارض الزراعية ومراكز السياحة في الضفة الغربية نتيجة

(١) مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية نشرة خاصة رقم ١٦ معلومات عن الضفة الغربية من ١ و ٢

لحرب ١٩٤٨ ، عادوا فخسروها نتيجة لحرب ١٩٦٧ . ولذلك
فمع استعداد الحكم الاردني والبورجوازية الاردنية لتصفية
قضية فلسطين ، فهم حريصون في نفس الوقت على استرجاع
ما يمكن استرجاعه من الضفة الغربية . وهكذا رأينا كيف
ابرزت البورجوازية الاردنية قضية القدس ، بعد حرب ١٩٦٧ .
وكانها محور للقضية الفلسطينية . وهكذا رأينا الحكم الاردني
يقوم بعملية مد وجزر مع العمل الفدائي محاولا ابقاء العمل
الفدائي وسيلة ضغط على حكومة اسرائيل ، لكن ضمن
حدود التحرك الاردني الرسمي الهادف لتصفية قضية
فلسطين ، واسترجاع ما يمكن استرجاعه من الضفة الغربية
الى السيطرة الاردنية .

« ان الدراسة المفصلة لنتائج الصراع الاسرائيلي - العربي
على اقتصاديات مختلف البلاد العربية كل على حدة يؤدي بنا
الى النتيجة التالية : ان الصراع في مجمله يلحق خسائر
جسيمة بأربع دول عربية هي الاردن والعراق وسوريا
والجمهورية العربية المتحدة » (مذكورة بالتسلسل حسب الاهمية
بالنسبة لخسائرها) . كما ان هذا الصراع يقدم في مجمله
بعض الفوائد لاقتصاد بلد عربي واحد هو لبنان ... لبنان هو
البلد الوحيد الذي جنى فائدة من ذلك ، وهو بالتالي الاقل
تهيئة ، من الناحية الاقتصادية لانهاء الصراع .. والاردن هو
الذي يستفيد من الناحية الاقتصادية اكثر من غيره من تسوية
الخلاف ... » (١)

(١) راجع مقال ميخائيل شبير - ص ٥٢٤ .

والحكم الملكي في الاردن مستعد لذلك ..

يقول الملك حسين : « ان على اسرائيل ان تسهم في حل
المشكلة الفلسطينية برمتها : من اجل ان يكون السلام
نهائيا . والفرصة متاحة الان لتحقيق ذلك .. لقد اظهرنا اننا
مستعدون للذهاب بعيدا ، بعيدا جدا ، لتحقيق ذلك والبسء
فعليا برد التحدي من اجل بناء مستقبل افضل لهذه المنطقة
المعتبرة ككل لا يتجزأ » (١) .

لكن الملك حريص على مكاسب ١٩٤٨ . فيقول :

« والقضية الفلسطينية تعنينا نحن الاردنيين اكثر مما تعني
اي بلد عربي اخر . انها تعنينا مباشرة ، لهذا رحبنا من حيث
المبدأ بقيام منظمة التحرير واعلنا استعدادنا لدعمها دعما
مطلقا ولكن بشرط هو ان تتعاون المنظمة مع الاردن تعاون
صادقا . ولا بد من التنويه بان الاردن عامل اللاجئين
الفلسطينيين معاملة فريدة لم يتوفر لهم مثلاً في الاقطار
العربية الاخرى . فقد عملنا جاهدين في سبيل جعل ثلث
سكان فلسطين يؤلف مع الاردنيين شعبا واحدا من ضفة الاردن
الغربية الى ضفته الشرقية ... لهذا اشترطنا امتناعها عن كل
نشاط من شأنه احداث الشقاق بيننا ، لاننا حريصون على
استمرار الدمج الذي تحقق بعد مشاق كبيرة » « نفس المصدر
السابق » .

وهكذا ، مع استعداد النظام الاردني القائم لتصفية قضية
فلسطين فهو حريص على الضفة الغربية ، لكن « حرب الايام

(١) فيك فانس وبيار لوير - الملك حسين (حربنا مع اسرائيل) دار
النهار للنشر ص ١٠٠

الستة ، هذه الحرب المزعومة حرباً ، انتبت بالنسبة لنا .
واتاحت لاسرائيل ان تسلبنا القدس والخفة الغربية للاردن » .
« نفس المصدر السابق » .

وكان وقع ذلك قاسياً على الملك — « في ما يختص بي ، كانت
اقسى مرحلة مرت بها في هذه الدورة الجهنمية هي تلك
المرحلة الواقعة بين هزيمة حزيران ومؤتمر القمة العربي
الذي عقبها في الخرطوم من ٢٩ آب الى اول ايلول ١٩٦٧ .
هذه الحقبة المشؤمة قد اضرت كثيراً بصحتي الجسدية وصحتي
النفسية . وخرجت منها وانا في غاية التعب والسأم . لقد كان
ذلك كله قاسياً أكثر مما يجب ، ومضنياً أكثر مما يجب » . أما
لماذا تنتهي اقسى مرحلة مر بها الملك ، مع مؤتمر القمة العربي ،
فذلك لان البورجوازية العربية في مؤتمر القمة في الخرطوم ،
وضعت حجر الأساس في التحرك البورجوازي العربي لتصفية
قضية فلسطين .

يقول الملك : « ذهبت للاجتماع بعبد الناصر مرة أخرى قبل
العودة الى اوروبا والولايات المتحدة في اواخر ١٩٦٧ لمواصلة
مهماتي من أجل السلام . »

« كان ذلك يوم ٣٠ ايلول ١٩٦٧ ، اي بعد اسابيع على
مؤتمر القمة في الخرطوم الذي أعطى المجال للجمهورية العربية
المتحدة والاردن كي يتفقا على العمل السياسي الواجب القيام
به ، وذلك بتأييد البلدان العربية الأخرى . .
« تمكنت من الاجتماع بعبد الناصر وقررت معه النقاط
الخمس الآتية لتحديد « الموقف العربي » :

« ١ — تقبل الاعتراف بحق كل واحد في العيش بسلام وامن
في هذه المنطقة ، بما في ذلك اسرائيل .

٢ — اتفقنا على فتح الممرات المائية الدولية بما فيها قناة
السويس ، أمام الجميع .

« وذلك مقابل التعامل بالمثل للنقطتين الاولين وبشرط ما يأتي :

٤ — انسحاب الاسرائيليين من كل الاراضي المحتلة منذ
حرب حزيران ١٩٦٧ .

٥ — ايجاد حل حقيقي لقضية اللاجئين : الحق لهذا
الشعب بالعودة الى أرضه او الحصول على تعويض ، وفقاً
للمقرارات الاولى التي اتخذتها الامم المتحدة .

« ان عدداً من هذه النقاط كان وارداً في الحل الروسي
الأميركي الذي فشل بسبب ردود فعل بعض العرب المتطرفين
في الجزائر ، حيث ذهبت أول ما ذهبت بعبد ان تركت بعبد
الناصر مباشرة . قبلوا ان يتركوا نحاول تحقيق ما عرضناه ،
دون تدخل من قبلهم . غير انهم لم يكونوا يؤمنون كثيراً بهذه
السياسة .

« وبعد هذه الخطوات وتلك الجهود بدأت مهمة السلام
التي أسندت الى الدكتور غونار يارينغ بناء على قرار اجماعي
اتخذه مجلس الامن في تشرين الثاني ١٩٦٧ .

« وعندما رجع اليانا القرار مرفقاً بالنقاط الخمس التي
وضعتها مع عبد الناصر والمذكورة آنفاً ، كانت ردود الفعل
العربية كالآتي :

« بعضهم اعتبر اننا لن نتوصل الى اي حل مرض ، ولو ذهبنا الى هذا الحد .

« اما الذين ما كانوا يؤمنون بإمكان الوصول الى حل سلمي وعادل فقد قبلوا ، مع هذا ، ان يمنحونا فرصة للمحاولة .

« و اخيرا قبلنا بقرار مجلس الامن ، واعربنا عن ارادتنا في تطبيقه بكامله . ولم توضح اسرائيل موقفها . لذلك اخذت مهمة الدكتور يارينغ ممثل الامين العام للامم المتحدة ، تتقدم بطريقة بطيئة للغاية » . نفس المصدر السابق . ص ٩٧ — ١٠٠ .

وضمن هذا الاطار باشر النظام الاردني تحركه واتصالاته مع الدوائر الامبريالية والصهيونية ، وضمن هذا الاطار باشر النظام الاردني عملية المد والجزر مع العمل الفدائي .

نحو تصفية قضية فلسطين

وقد جرت تحركات دبلوماسية كبيرة ، وقام عدد من الشخصيات الدبلوماسية برحلات سنديادية ، وكلها من اجل تنفيذ المؤامرة الكبرى لتصفية قضية فلسطين تحت عنوان الحل السلمي . كل هذه التحركات ما زالت تنتهي الى طريق مسدود . لكنها توضح مجددا ان النظام القائم في الاردن يريد الوصول الى تصفية مع اسرائيل .

وعقب نتائج حرب حزيران بدا الاردن يهدد بشراء السلاح من مصادر أخرى — شرقية — الا انه سرعان ما تراجع عن

تهديده وامكن المحافظة « على صداقة الولايات المتحدة الامريكية الى ابعد الحدود » . ودارت دورة الرحلات الدبلوماسية ومهمة يارينغ ، تلك المهمة العقيمة التي اصبحت الامل الاخير للرجعية العربية في ايجاد مخرج سياسي لتصفية قضية فلسطين . وقد ورد على لسان الملك حسين : « ان محصر الفرصة

المتاحة لتحقيق السلم هو رهن بما يحققه يارينغ من تقدم في مهمته ، فاذا فشل يارينغ يكون معنى ذلك ضياع هذه الفرصة . نعم ان مهمة مبعوث يوثانت هي املنا الاخير . فالايام تمر . وبت أخشى ان يرسخ في اذهان العرب اننا لن نبلغ اهدافنا بالحل السلمي » (١) . .

لكن الحل السلمي يصطدم ، بالنسبة للاردن ، بتناقضات عديدة . من جهة يصعب على الاردن الاتفاق مع اسرائيل حول وضع الضفة الغربية ومن جهة أخرى ، يضطر الاردن للتردد كثيراً قبل الانفراد بتحمل تبعات السياسة لحل سلمي أردني اسرائيلي ، بمعزل عن باقي الدول العربية .

وقد وجه فانس ولوير سؤالاً الى الملك حسين : « ما دام الحصول على الاجماع العربي أمراً غير سهل ، ما رأيك باحتمال اقامة سلام منفصل بين الاردن واسرائيل لحل المشكلة الفلسطينية » ، وكان جواب الملك حسين : « لا .

(١) فيك فانس ولوير — الملك حسين حينما مع اسرائيل — دار النهار للنشر ص ١٠١

الاردن مستعد لعقد السلام « لكنه لا يستطيع عقده » بينما
مصر لا تريد السلام .

موجز هذا الجزء من البحث ان النظام الحاكم في الاردن
والطبقة البورجوازية الملتفة حوله تسمى لتصفية قضية
فلسطين مع الصهيونية لتحقيق مصالح البورجوازية الاردنية
والرأسمالية اليهودية ، ولكن النظام الحاكم في الاردن يسمى
ايضا لاستعادة السيطرة على الضفة الغربية لنهر الاردن .
والنظام الحاكم في الاردن يجد في مواقف الطبقات الحاكمة في
الدول العربية المجاورة لفلسطين سندا وغطاء يمكنه الاعتماد
عليه لازالة العقبة المستعصية من طريق الحل التسفوي لقضية
فلسطين، وتلك العقبة هي الموقف الجماهيري الاردني
الفلسطيني والطلائع الثورية المقاتلة في الحركة الفدائية
الفلسطينية . ذلك ان « في عمان قليل من التصريحات وقليل
من الموسيقى العسكرية، وبالمقابل ظاهرة مقلقة : في كل مكان
رجال بالبنزة الخاصة بالفدائيين، ينقلون ريشاتهم بشكل
ظاهر . ظاهرة مقلقة لان هؤلاء الفدائيين الفلسطينيين —
ومعظمهم من دعاة متابعة الكفاح المسلح الى النهاية— يقفون
حجر عثرة في طريق حوار يمكن ان يحصل بين العرب
والاسرائيليين . و « السلام العادل » الذي يطمح اليه الملك
حسين ، لن يتحقق ما دام الحوار متعذرا .. وكيف نتصور
قيام حوار بين اسرائيل والعرب، مع وجود اكثر من نصف
أراضي الاردن تحت الاحتلال ، وقد أضحى هذا الجزء مسرحا
لنشاط الفدائيين » . « نفس المصدر » .

ان هذا ليس ممكنا ولا جديا . يجب ان نحل الخلاف بكامله
وليس جزئيا . اننا نريد تنسيق كل شيء .. وقد بذلت قصارى
جهدي في هذا السبيل » . « نفس المصدر » ..

ذلك ان النظام الاردني باصراره على اجماع الحكومات
العربية : انها يسعى للحفاظ على النفع العائد من مساعدات
الدول العربية له، وفي نفس الوقت للتسلح بالموقف المحري
والعربي الرسمي لتغطية تحركات النظام الاردني نحو تصفية
قضية فلسطين . ذلك ان النظام الاردني اذا اعلن عن خطوات
عملية لتصفية قضية فلسطين، وكان مجردا من الغطاء العربي
الواقفي له، سيقف وجها لوجه مع الجماهير الاردنية
والفلسطينية التي تتم التصفية على حساب أرضها ومجهودها.
ان النظام الاردني يبقى عاجزا عن تحقيق طموحه الى حل
سلمي اردني اسرائيلي، لان ذلك يعني التدهور السريع في
الوضع الداخلي في الاردن ويعرض الحكم والطبقة البورجوازية
الملتفة حوله للانهار .

ليس النظام الاردني وحده المدرك لذلك . فالحكومة
الصهيونية تدرك ذلك أيضا . يقول الجنرال اسحق رابين
حاليا سفير اسرائيل لدى الولايات المتحدة :

« ان اسرائيل مستعدة للتفاوض مع الدول العربية، لكنها
تريد سلاما حقيقيا، أي سلاما قائما على اتفاق يوضع
الحدود الوطنية، ويؤمن حرية التجارة من بلد الى اخر ومصالح
الامم في هذه المنطقة من العالم » . وأعرب عن اعتقاده بأن

هذه الحركة الفدائية الفلسطينية التي تقف اليوم وحدها في
مواجهة الصهيونية وتعرض لمجابهة تفرضها عليها الرجعية
العربية، هذه الحركة الفدائية لها أساسها الاجتماعي ضمن
شعب فلسطين، وهذه الحركة الثورية لها آفاق ومهام
تتحكم فيها وتحدد لها تقدمها في حركة التاريخ الصاعدة ..

وستتناول بالبحث الواقع الاجتماعي الفلسطيني الذي أفرز
الحركة الفدائية الفلسطينية ، وستتناول الحركة الثورية
الفلسطينية بأفاتها ومهامها .

الواقع الاجتماعي

لشعب الفلسطيني

من أبرز التجارب الثورية في العالم اليوم، نضال شعب
فيتنام البطل من أجل تحرره الوطني وتقدمه الاجتماعي، وهو
نضال حافل بالدروس التي تفيد كافة المعنيين بقضايا التحرر
في العالم ..

وفيما يلي نورد حديثاً عن أبرز الدروس الفيتنامية قبل
متابعة بحثنا الاساسي . يقول نيقوين فون جيباب ، قائد
جيش التحرير الفيتنامي :

« ان عدو الامة الفيتنامية هو الامبريالية العدوانية التي
يجب القضاء عليها . ولكن لان الامبريالية تحالفت منذ زمن
طويل مع الاقطاعيين ، لذلك لا يمكن ، قطعاً ، ان يفصل بين
الصراع ضد الامبريالية ، وبين الصراع ضد الاقطاعية . اما
من الناحية الثانية فان بلدا متخلفا مثل بلدنا ، حيث يشكل
الفلاحون غالبية السكان ، تصبح فيه الحرب الشعبية ،
اساساً ، حرب فلاحين بقيادة الطبقة العاملة . لهذا فان
التمسك المأمة لجميع الافراد ما هي تقريباً الا تعبئة
الجواهر الريفية . وان مسألة الارض ذات أهمية حاسمة .

«لقد أثبتت حرب التحرير التي خاضها الشعب الفيتنامي ..

«ان الحرب الشعبية الفيتنامية في سبيل التحرير، يجب ان
ينظر اليها ، بعد التحليل العميق ، بوصفها ثورة شعبية
ديمقراطية وطنية ، تتخذ شكلاً مسلحاً ، ولها هدف مزدوج :
هو الاطاحة بالامبريالية ، وهزيمة الطبقة الاقطاعية ، مع اعتبار
الصراع ضد الامبريالية هو المهمة الرئيسية ..

« لقد أثبتت حرب التحرير التي خاضها الشعب الفلسطيني النصر على عدو قوي بقدر ما هو بطاش، يمكن فقط من طريق توحيد الشعب بكامله، في قلب جبهة وطنية متحدة واسعة وحازمة .. تقوم على أساس تحالف العمال والفلاحين » (١) .

الواقع الاجتماعي الفلسطيني

هذا الدرس الفيتنامي يهنا بما يحمل من صفات ومميزات عامة لحركة التحرر العالمي . ويهنا في البحث ان نتناول الواقع الاجتماعي الفلسطيني الكامن وراء رفض تصفية قضية فلسطين ، وهو الرفض الذي تدعمه الحركة الفدائية الفلسطينية التي يمكن ان تتجاوز حدود العمل الفدائي الفلسطيني ، لتولد حركة ثورية عربية قادرة على دفع النضال الثوري الى النصر ، وذلك تبعاً للتطورات الذاتية للحركة الفدائية وتبعاً للتطورات الموضوعية في المنطقة .

عشية حرب حزيران ١٩٦٧ ، كان تعداد الفلسطينيين حوالي ٢٣٥٠.٠٠٠ نسمة موزعين على النحو التقريبي الآتي :

١ — لاجئون ينالون أو لا ينالون اعاشة : ١٣٤٥.٠٠٠ .

٢ — سكان الضفة الغربية غير اللاجئين : ٤٧٥.٠٠٠ .

٣ — سكان قطاع غزة غير اللاجئين : ١٣٠.٠٠٠ .

٤ — اشخاص لم يسجلوا اطلاقاً كلاجئين ويعيشون خارج

(١) حرب المقاومة الشعبية — الجنرال — نيفوين مون جيباب — دار الاداب ص ٢٤ و ٣٠ .

(٢) ملف القضية الفلسطينية . سامي هداوي — مركز الابحاث التابع لئظمة التحرير الفلسطينية . ص ٦٥ — ٦٦ .

الاردن وغزة : ١٠٠.٠٠٠ .

٥ — عرب بقوا في اسرائيل منذ ايار سنة ١٩٤٨ : ٣٠٠.٠٠٠ .

الجموع : ٢٣٥.٠٠٠ .

وهذا يعني ان ٥٧ بالمائة من الفلسطينيين كانوا لاجئين عشية حرب حزيران ، وهؤلاء « لاجئون ينالون أو لا ينالون اعاشة » ، اي انهم يعيشون اعتماداً على :

١ — مصدرين مشتركين :

أ — مساعدة وكالة الاغاثة، وهي بالدرجة الاولى تأمين نسبة من التعليم والتطبيب وكمية من الطحين، بالاضافة الى نتف من حاجيات اخرى .

ب — مجهودهم العملي لتأمين باقي الغذاء « ما عدا الطحين عادة » واللباس واجر المسكن ، او بناء وترميم بيوت التناك ، ويعملون لقاء اجر معين أو في نكاكينهم الصغيرة .

٢ — أو مصدر واحد هو المجهود العملي لتأمين كافة المتطلبات الحياتية — وهؤلاء في غالبيتهم أصحاب حرف وتجارة استهلاكية محلية ، وبعضهم من الطبقات الوسطى ذات العلاقة الاقتصادية المتينة بالبورجوازية المحلية في الاقطار العربية « بما فيها الضفة الغربية وغزة » .

كذلك فان ٢٦ بالمائة من الفلسطينيين عشية حرب حزيران كانوا من سكان الضفة الغربية « ٢٠ بالمائة » وغزة « ٦ بالمائة » غير اللاجئين — أي من الفلاحين في غالبيتهم « نسبة الفلاحين

في غالبية الدول العربية حوالي ٨٠ بالمائة من السكان» ونسبة أقل من الطبقات الوسطى والبورجوازية الصغيرة بالإضافة الى نسبة أقل من الرأسمالية ؛ وبقياء الاقطاع في الضفة الغربية وغزة .

وخارج الضفة الغربية وغزة كان ٤ بالمائة من الفلسطينيين ممن لم يسجلوا اطلاقا كلاجئين .— وهؤلاء من الرأسماليين والطبقات الوسطى والمغامرين الذين ارتبطت غايباتهم بالفعالية الاقتصادية للطبقات السائدة في الدول العربية ونشاطها الرأسمالي، من بنوك ومقاولات وتجارة داخلية وخارجية كبيرة وملكيات عقارية ونسبة أقل وسائل انتاج صناعي وزراعي .

اما في اسرائيل فقد كان حوالي ١٣ بالمائة من الفلسطينيين تحت الحكم العسكري حتى فترة قصيرة قبيل حرب حزيران— وغالبيتهم من الفلاحين او عمال البناء والخدمات والصناعات الصغيرة « قلما يوجد عمال عرب » في الصناعات الثقيلة الاسرائيلية وذلك لاسباب تاريخية تتعلق بالنمو الاقتصادي الاسرائيلي، وفعالية المستدروس، وهجرة العرب من الريف الى المدن وضواحيها، وضعف خبراتهم الفنية» ؛ واقليتهم من بقايا الاقطاع في فلسطين او من الطبقات الوسطى الموجودة على هامش الرأسمالية اليهودية في فلسطين .

هذه بعض مظاهر الواقع الاجتماعي الفلسطيني . وهناك مظاهر أخرى لها علاقة بالتوزيع الجغرافي للشعب الفلسطيني قبيل حرب حزيران :

١٠٠ ٥٠ ٦٠ ٧٠ ٨٠ ٩٠ ١٠٠
١٠٠ ٥٠ ٦٠ ٧٠ ٨٠ ٩٠ ١٠٠
١٠٠ ٥٠ ٦٠ ٧٠ ٨٠ ٩٠ ١٠٠

١٠٠ ٥٠ ٦٠ ٧٠ ٨٠ ٩٠ ١٠٠
١٠٠ ٥٠ ٦٠ ٧٠ ٨٠ ٩٠ ١٠٠
١٠٠ ٥٠ ٦٠ ٧٠ ٨٠ ٩٠ ١٠٠

— ففي الاردن ، بما في ذلك الضفة الغربية « كان يوجد ٥٢ بالمائة من الشعب الفلسطيني » حوالي ١٢٥٠.٠٠٠ نسبة « وفي غزة ١٧ بالمائة » حوالي ٤٢٥.٠٠٠ — اي ان تعداد الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة بلغ ٦٩ بالمائة من الشعب الفلسطيني ، مما يعطي لهما ، وبخاصة للضفة الغربية ، أهمية أولى وأساسية عند معالجة واقع الشعب الفلسطيني وحركته السياسية .

وفي اسرائيل كان العرب حوالي ١٢ بالمائة « ٣٠٠.٠٠٠ » من الفلسطينيين .

— أما في لبنان فهناك ٧ بالمائة من الفلسطينيين « ١٦٥.٠٠٠ نسمة » وفي سوريا ٦ بالمائة من الفلسطينيين « ١٥٠.٠٠٠ نسمة » — أي ١٣ بالمائة في سوريا ولبنان؛ ورغم قلة العدد فقد كان للفلسطينيين في سوريا ولبنان دور بارز أيضا في حركة الشعب الفلسطيني لاسباب عدة أهمها الظروف الاقتصادية والسياسية والثقافية لسوريا ولبنان ومناخها للحدود الفلسطينية .

— وفي الكويت والسعودية والخليج العربي حوالي ٣ بالمائة من الفلسطينيين « الكويت ٣٥.٠٠٠ ، والسعودية ٢٠.٠٠٠ ، والخليج ١٠.٠٠٠ » غالبيتهم من البورجوازية الصغيرة — خاصة الموظفين — والمستفيدة من الشركات الاجنبية أو الحكومات المحلية ، ولكنهم على ارتباط بأهاليهم في الاردن وغزة وسوريا ولبنان، وبعضهم من الطبقات الوسطى المرتبطة أكثر

بالاوضاع الاقتصادية المحلية، وبمعظمهم من ابناء الطبقات
الفقرية في محاولة ليكونوا في صفوف البيروقراطية السفيرة او
الوسطى .

اما الجمهورية العربية المتحدة والعراق ففيهما اقل من ١
بالمائة من الفلسطينيين « حوالي ٨٠٠٠ في كل منهما » -
والكثير منهم لاسباب دراسية .

كذلك كان عشية حرب حزيران في بلدان المغرب العربي
واميركا وغيرها حوالي ٢ بالمائة « ٥٠.٠٠٠ نسبة » من
الفلسطينيين وهم اما من طبقات وسطى ورأسمالية او من
طلاب العلم والطموحات اللاحقة ..

ثمة ظواهر أخرى في الواقع الفلسطيني عشية حرب
حزيران ، وهي ما زالت ايضا ، وهي ارتفاع نسبة البطالة
عن العمل . فقبل حرب حزيران كان حوالي ثلثا
اليد العاملة التي يشكلها اللاجئون الفلسطينيون عاطلة عن
العمل . ولما كان ذلك بمثابة خسارة في اليد العاملة في الدول
العربية المضيفة ، فقد كان يدخل لهذه البلدان ربحا بديلا « يقدر
بين ٣٥ و ٤٠ مليون دولار تقدره معونات وكالة الغوث » وصلت
موازنة وكالة الغوث في عام ١٩٦٥ الى ٣٧ مليون دولار « ١ »

والجدير بالذكر ان الولايات المتحدة الاميركية تساهم بـ ٧٠
بالمائة من ميزانية وكالة الغوث اي حوالي ٢٥ مليون دولار

(١) راجع مقال شيفير « نتائج المقاطعة العربية على الاقتصاديين العربي
والاسرائيلي » . في كتاب « من الفكر الصهيوني المعاصر » ص ٥٢١ .

سنويا . ومن المعلوم - للمقارنة - ان وزارة الدفاع الاميركية
قدّرت اثر حرب حزيران انها « ستتكد زيادة على ما تصرفه
حاليا لتأمين المنتجات البترولية اللازمة للقوات الاميركية اذا ما
انقطع ما تأخذه من الشرق الاوسط بما مجموعه ٢١ مليون
دولار شهريا » او ٢٥٢ مليون دولار سنويا - لا شك ان ذلك
يوضح حرص اميركا وشركاتها على « غوث » الفلسطينيين
وتصفية قضيتهم ، وطبعها الحفاظ على مصالحها المتزايدة
في المنطقة .

عرضنا فيما سبق بعض ظواهر الواقع الفلسطيني عشية
حرب حزيران ١٩٦٧ ، ورأينا ان تعداد اللاجئين منه ، وتركز
اكثرية الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وفي الاردن
وغزة وخدمات وكالة الغوث ، وارتفاع نسبة البطالة عن
العمل ، من أبرز الظواهر .

على الصعيد السياسي كان لغالبية الشعب الفلسطيني
موقف الرفض لتصفية قضية والاصرار على تحرير ارضه ..

وباعتراف مسؤولين دوليين ، في سنة ١٩٥٧ « ... ان
غالبية اللاجئين العظمى ما زالوا يعتقدون ان اخفاها كبيرا قد
انزل بهم وما زالوا يعبرون عن الرغبة في العودة السى
ديارهم » . « ١ » .

وفي العام ١٩٦٦ شدد المستر ميتشل مور مدير الاوتروا
قائلا « فيما تمر السنون لا تبدو بادرة تشير الى ان اللاجئين

(١) وثيقة الامم المتحدة رقم ٣٦٨٦ - ٨ تقرير الاوتروا ١٩٥٦ و ١٩٥٧
- راجع كتاب سامي هداوي - ص ٦٧ .

اسبحو اقل شعورا بالالم والمرارة نتيجة اعتقاداتهم بأن
اجساداً كبيراً قد أنزل بهم عن طريق خسارة ديارهم وبلادهم
واستمرار حرمانهم من أية فائدة من ممتلكاتهم التي تركوها
وراءهم . وهكذا فإن تأثير وجود مشكلة اللاجئين الفلسطينيين
باستمرار على السلام والاستقرار في الشرق الاوسط ما زال
خطيراً كما كان « ١ » .

وبالفعل فقد رأينا اللاجئين الفلسطينيين يكافحون بحزم ضد
مشاريع الاسكان وتضليلات وكالة الغوث، وضد محاولات
تصفية قضية فلسطين على حسابهم، وضد الاحلاف العسكرية
الامبريالية، ويكافحون بحزم في صفوف حركة التحرر العربي
ومن أجل الوحدة العربية ومن أجل التقدم ... ومنذ عام
١٩٦٤ بدأت طلائع العمل الفدائي نضالها المسلح في فلسطين .

نتائج حرب حزيران

ثم كانت حرب الايام الستة في حزيران ١٩٦٧ . . وكانت
تغييرات محددة في الواقع الفلسطيني وحركته .

وقد اشتملت نتائج حرب حزيران على التغييرات التالية
على واقع الشعب الفلسطيني :

على الصعيد الجغرافي، أصبحت الضفة الغربية وغزة —
بالاضافة للجولان وسيناء — خاضعة لسلطات القمع

١ — وثيقة الأمم المتحدة رقم ٦٣١٢ — ١ — تقرير الاونروا ١٩٦٥
١٩٦٦ — راجع نفس المصدر السابق .

الصهيونية، ولم يعد هناك فلسطين المغتصبة، مقابل الضفة
الغربية وغزة — بل فلسطين التي تتحكم بها أجهزة القمع
الصهيونية خدمة لمصالح الرأسمالية اليهودية وحسي الطبقة
السائدة في فلسطين وعلى الواقعة في أزمة اقتصادية تحاول
الخروج منها انطلاقاً من انتصار القوات الصهيونية في حرب
حزيران .

على الصعيد البشري، كان من نتائج حرب حزيران البارزة
هجرة ٤١٠.٠٠٠ لاجئ فلسطيني من الضفة الغربية وغزة إلى
الأردن « الضفة الشرقية » — « خلال عدوان الستة أيام »
حمل حافظ الهجوم الاسرائيليين رأساً إلى الضفة الغربية من
الأرض حتى نهر الأردن « الذي يعتبر الآن خط وقف إطلاق
النار » . وعندما فوجيء القرويون العرب بالهجوم المباغت
ودب في قلوبهم الرعب أزاء الاسلحة الحربية الحديثة كالنابالم
التي لا عهد لهم بها من قبل فروا ثانية بفزع مع بعض اللاجئين
من العام ١٩٤٨ وكان الكثيرون منهم يقيمون في مخيمات في
الضفة الغربية . وقد فر ما مجموعه حوالي ٢٠.٠٠٠ نسمة
خلال الحرب القصيرة . ومنذ ذلك الحين اضطروا آخرون قدر
عددهم بحوالي ٢١٠.٠٠٠ شخص بدافع الخوف ونسفيبوتهم
أو فقدان اقربائهم إلى مغادرة ديارهم وأراضيهم « ١ » .

إلا أنه رغم الهجرة الجديدة فقد ظل فسي فلسطين
« اسرائيل، والضفة الغربية، وغزة » ما يقارب ١٥٦٥.٠٠٠

(١) ملف القضية الفلسطينية — سامي هداوي — مركز الأبحاث التابع
لنظمية التحرير الفلسطينية — ص ٧٢ .

نسبة، اي حوالي ٦٥ بالمائة من الفلسطينيين . وهكذا فرغم التوسع الاقليمي الصهيوني ، فقد ارتفعت نسبة الفلسطينيين الخاضعين لسلطات القمع الصهيونية من ١٢ بالمائة قبل حرب حزيران الى ٦٥ بالمائة من الشعب الفلسطيني بعد حرب حزيران . ولهذا اثر كبير في الصراعات القائمة في فلسطين والمنطقة .

وثمة ظاهرة اخرى في الاردن نتجت عن حرب حزيران وما تلاها من احداث . « حتى شهر شباط ١٩٦٨ كان معظم اللاجئين يتجمعون في ستة مخيمات كبيرة في وادي الاردن . ولكن بعد غارتين جويتين وهجمات بالمدفعية قتل او جرح فيها اكثر من ١٠٠ لاجيء انتقل اللاجئون من جديد الى مناطق ابعد واعلى وآمن في الضفة الشرقية . ويضاف الى هؤلاء الان نوع رابع من اللاجئين هم الاردنيون من وادي الفور الذين ارغموا على ترك مزارعهم بسبب القصف الاسرائيلي . وتبلغ نسبة اللاجئين الى غير اللاجئين في الاردن الان « حزيران ١٩٦٨ » اثنين الى واحد . « ١ » . ولهذا ايضا اثر بارز في الصراعات القائمة .

وعلى الصعيد الاخر ، بدأت تتضح المواقف المغايرة للطبقات المختلفة من الفلسطينيين ازاء قضية فلسطين . ففي فلسطين : حيث ٦٥ بالمائة من شعب فلسطين تحت السيطرة الصهيونية « توجد :

(١) نفس المصدر - ص ٧٢ - ٧٣

١ - طبقة صغيرة العدد تجمع بقايا الاقطاع الفلسطيني والبورجوازية العميلة . وهي تعمل بحكم مصالحها . على التعاون مع العدو وتقدم نفسها مطية لاقتراحات الحكومة الاسرائيلية بانشاء دولة تحت حمايتها في الضفة الغربية . وقد برز من عناصرها على سبيل المثال، الجعبري والفاروقي .

٢ - البورجوازية الوطنية التي تعتمد على التجارة والخدمات والملكيات العقارية وبعض الصناعات المحلية . وهي طبقة تتناقض مصالحها مع الرأسمالية اليهودية في كثير من الاحيان فيما يتعلق بالسوق الفلسطينية، ولكنها تلتقي مع مصالح الرأسمالية اليهودية احيانا، خاصة فيما يتعلق بتصدير المنتجات المحلية الى الاسواق العربية « على سبيل المثال - تصدير الحمضيات والفواكه من الضفة الغربية وغزة الى الاردن وباقي المنطقة » . وهذه الطبقة في صراع مع السلطات اليهودية، ولكنها - وبحكم مصالحها - تتوجه للسلطات السائدة مناشدة اياها رفع القيود عنها، او محتجة لها على الحد من حريتها . وفيما يلي بعض تصريحات افراد هذه الطبقة :

« ان اوضاع التجار العرب في البلدة القديمة « القدس » لم تسوء بسبب اغلاق المصاريف العربية ابوابها منذ الخامس من حزيران ولكن هؤلاء التجار يشكون من المظالم التي يلقونها بسبب فرض ضرائب مختلفة غير مشروعة على بضائعهم مما وضعهم في ضائقة مالية خانقة، ووضعت السلطات الجمركية

على مداخل المدينة مراكز جمركية اخضعت بواسطتها البضائع الواردة من مدن الضفة الغربية الى القدس العربية المحتلة. الى ضرائب جمركية ولم تسمح لاصحاب سيارات التاكسي بالترخيس وبالعمل ونقل السياح الى مدن الضفة الغربية» (١) .

هذه الطبقة يمكن ان يساهم قطاع كبير منها في الحركة الوطنية بحكم مصالحهم ، ولكنها — ولنفس السبب — يمكن ان تقود الحركة الوطنية الفلسطينية الى الخضوع الفعلي للرأسمالية اليهودية ، لان البورجوازية الوطنية اضعف من ان تصمد امام مزاحمة الرأسمالية اليهودية الكبيرة المرتبطة بالرأسمالية العالمية .

٣ — البورجوازية الصغيرة وتشكل قطاعا واسعا من أصحاب الحرف وصغار التجار والمقاولين الصغار واصحاب المحلات .. الخ وهي طبقة غير متجانسة لا في وضعها الطبقي ولا في موقفها الوطني، ولكن غالبيتها تتضرر من عدم الاستقرار وانخفاض حركة الخدمات والتسويق الاستهلاكي الذي يشكل مورد معيشتها الاساسي. وهي طبقة لا تستطيع — في غالبيتها ان تنافس او تستفيد كثيرا من نشاط الرأسمالية اليهودية. الا ان قلة من هذه الطبقة يمكن ان تعيش على هامش البورجوازية

(١) بيان لفائق بركات مدير الفرقة التجارية العربية بالقدس بتاريخ ٢٥ — ٨ — ١٩٦٧ — وقد ورد النص في كتاب : « وثائق مقاومة الضفة الغربية للارلد للاحتلال الاسرائيلي ١٩٦٧ » — منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية — ص ٩٧ .

الكبيرة ويمكن ان تقوم بدور الوسيط الانتهازي — وعلى سبيل المثال، في منطقة قلقيلية وطولكرم يقوم « الرئيس » — الفورمان — المقاول الصغير — بجمع العمال العرب بسيارات اللوري ليعملوا كعمال زراعيين في السهل الساحلي ويقتبض « الرئيس » ١٥ ليرة اسرائيلية يوميا عن كل عامل يحسم منها ٤ ليرات للرئيس بدل نقل؛ وهي تشكل جزءا اساسيا من موارد المقاولين الصغار . « ١ » .

هذه الطبقة البورجوازية الصغيرة تشكل من حيث العدد ، جزءا اساسيا من الحركة الوطنية الفلسطينية ، ولكنها مليئة بالتيارات الانتهازية وعرضة لانحرافات كثيرة ، الا انها — وحسب تجارب الثورة في العالم — يمكن ان تلعب دورا كبيرا في تعزيز النضال الوطني خاصة اذا اخضعت لعملية تثقيف ثوري تشد ارتباطها بالطبقات الكادحة من العمال والفلاحين .

٤ — طبقة العمال — وتشمل آلافا متزايدة من العمال العرب تستوعبهم الصناعات الاسرائيلية ، كما تشمل العمال الزراعيين ، والعمال الموسمين والمياومين ، وعمال البناء و .. الخ، في الضفة الغربية وغزة ، والملاحظ ان العمال العرب يستوعبون اكثر في مجالات العمل الزهيدة الاجر ومجالات العمل غير الماهر ، ويمكن ان يزداد تدفق العمال العرب الى الصناعات الاسرائيلية حيث يستغلون للحد الاقصى

(١) نشرة فلسطين الحرة « تصدر بالانكليزية في بريطانيا » — العدد الخامس — تشرين الاول ١٩٦٨ — ص ٥ .

ويحرمون ادنى الحقوق وهو ما عانى منه عرب الارض المحتلة
قبل ١٩٦٧ .

هذه الطبقة محدودة العدد ولكنها تعاني من الاضطهاد القومي والطبقي ، وهي معرضة للطرد والقمع المباشر من قبل العدو، وتشكل طبقة أميلة المصلحة في التحرر الوطني ودحر الصهيونية والامبريالية . ولكن قلة عددها وعدم تركزها يعيق حشدتها لمجابهة العدو كقوة أولى في الصراع من أجل تحرير فلسطين .

٥ - طبقة الفلاحين - وهم الاغلبية العددية بين عرب فلسطين وكذلك في كافة الدول المتخلفة في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . وقد عانوا وما يزالون من عمليات القمع الصهيونية سواء قبل أو بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، وسواء بقصف الطائرات الاسرائيلية أو بالمذابح التي قامت بها الصهيونية منذ عام ١٩٤٨ في العديد من القرى من دير ياسين الى السموع الى بيت فوريك وقرى الخليل . . كذلك فإن طبقة الفلاحين هي التي تشكل المصدر الاساسي لللاجئين الذين يشردهم العدوان ولطبقة العمال التي تنمو في المدن والضواحي .

هذه الطبقة هي القوة الاساسية التي تتشكل منها قوات الثورة الوطنية . . ولكن هذه الطبقة تعاني من ميزات فلاحية مثل تضخم الامور والتردد في بادىء الامر وردات الفعل العنيفة . . الخ . وقد رأينا كيف كان الفدائيون يجدون صعوبة في اللجوء الى القرى بعد نسف القوات الصهيونية لمنازل العديد

من الفلاحين الذين ساعدوا الفدائيين . لكن هذه الصفات الفلاحية تتضاءل امام الصفات الفلاحية الاخرى من شجاعة وقدرة على تحمل المشاق واخلاص في الوطنية ، وذلك مع تصاعد النضال المسلح الذي يزيد ثقة الفلاحين بانفسهم ويزيدهم اصرارا على النصر ويربطهم بالنضال الثوري فيصحبوا مدافعين عن الثوار وجزءا منهم، هذا التطور يوضحه ويضمن استمراره عمل الثوار من اجل التوعية السياسية والتثقيف الجماهيري بين اوساط الفلاحين، فالتثقيف السياسي هو الاساس في تحويل الفلاحين من معجبين بالثوار الى جنود مقاتلين مع الثوار . .

٦ - اللاجئون في الضفة الغربية وغزة - وهم تجمعات بشرية يجمعها الفقر وفيها خليط من العمال المهرة والاجراء والفلاحين المشردين وبعض عناصر البورجوازية الصغيرة . وأهمية اللاجئين في تجمعاتهم القابلة للحشد ضد العدو ، خاصة وانهم من الفقراء في غالبيتهم الساحقة .

هذا عن عرب فلسطين الذين تحت السيطرة الصهيونية . اما باقي عرب فلسطين فأكثر من نصفهم في الاردن « الضفة الشرقية » . وبينهم :

١ - قلة من كبار الرأسماليين يشكلون جزءا من البورجوازية الاردنية الملتفة حول النظام الملكي الذي يمثل ويعتمد على بقايا الاقطاع والبدواة . وهؤلاء كالمحور الذي يتحلقون حوله

على استعداد لتصفية قضية فلسطين خاصة اذا كان هناك من المغريبات الاسرائيلية - ثفر على المتوسط مثلا - . لكن هذه الطبقة في ازمة بسبب خسارة المناطق السياحية والزراعية وفي ازمة لان رغبتها في تصفية قضية فلسطين تضعها في مواجهة عنيفة مع باقي الشعب .

٢ - البورجوازية الوطنية وهي ذات مصلحة في مناهضة الصهيونية وفي استقلال الاردن لان نمو البورجوازية الوطنية، القائمة على النشاطات التجارية والخدمات والملكيات العقارية والصناعات المحلية، انما يعتمد على نمو « الوطنيين » ، وبالفعل قام في الاردن ما يمثلها وهو « التجمع الوطني » الذي جمع بعثي القيادة القومية، والاخوان المسلمين ، وبعض رجال الحاشية الملكية، والحزب الشيوعي الاردني الاصلاحى، والحزب الوطني الاشتراكي التابع لسليمان النابلسي، وبعض من كانوا في حركة القوميين العرب « حمد الفرحان » هذا التجمع الوطني ظل على وفاق مع النظام الاردني حتى حاول الخروج من عزلته السياسية وقرر عقد مؤتمر للتجمع الوطني. وكان مقرا عقد المؤتمر في ١٣ ايلول ١٩٦٨ في دار نقابية الحامين في عمان، ولكن الحكومة الاردنية منعت عقد المؤتمر وهددت باستعمال القوة في حالة الإصرار على عقد المؤتمر « ١ » ، ولم يستطع التجمع الوطني ان ينشط بفعالية .

١ - راجع « الحرية » - العدد ٢٢٤ الصادر في ١٤ - ١٠ - ١٩٦٨ ص ٦ و ٧ .

٣ - البورجوازية الصغيرة وهي قطاع واسع نسبيا من الحرفيين وصغار التجار والموظفين والمدرسين .. وهي رغم طموحاتها تظل مشدودة لحدود المجتمع الذي تعيش فيه لان معيشتها تعتمد على الخدمات ولعب دور الوسيط في السوق المحلي . غالبيتها تؤيد النضال الثوري وتدعمه وقلة منها تخضع لاغراءات وتسهيلات النظام القائم . وهذه الطبقة فيها تيارات انتهازية وعفوية ومرترقة . هذه الطبقة البورجوازية الصغيرة تدعم الحركة الوطنية اكثر كلما شذبت نواقصها وذلك بالتثقيف السياسي والايديولوجي وبالممارسة النضالية . وهذه الطبقة يمكن ان يبرز منها قادة مثقفون وملتزمون بقضية الثورة وقادرون بحكم اضطلاعهم وثقافتهم على لعب دور بارز في تصعيد الثورة، لكن هذه الطبقة وايديولوجياتها المتضاربة لا تستطيع كطبقة اتمام مهام الثورة الوطنية، وهذه الطبقة هي طبقة انتقالية بالنسبة لقيادة النشاط السياسي والنضال الثوري .

٤ - العمال - ويشكلون طبقة ما زالت قليلة العدد مع انها تزداد مع الزمن، وكذلك فان هذه الطبقة وهي تشمل بالاضافة للعمال الصناعيين « وصناعات الاردن ما زالت محدودة » العمال الزراعيين والموسمين وعمال الصناعات المحلية الصغيرة فهي طبقة قليلة التحشد . والكثير من افراد هذه الطبقة متحذرون من اللاجئين الذين فقدوا الارض، فأخذوا يبحثون عن عمل في المدن والخرابي والمنشآت الانتاجية .

٥ - الفلاحون - ويشكلون قطاعا واسعا واساسيا خاصة في المناطق الشمالية والغربية من الاردن حيث اهم الاراضي الزراعية . وقد تعرضوا تكرارا لقصف الطائرات والمدفعية الصهيونية، وقد هاجر عدد منهم الى المدن والمرتفعات الشرقية بعد سلسلة العمليات القمعية الصهيونية في منطقة الاغوار . وهم مصدر اساسي للاجئين بعد عمليات القمع الموجهة ضدهم ، وهم مصدر اساسي للمقاتلين الثوريين ، خاصة اذا رافق النضال الثوري توعية سياسية وتنظيما

٦ - اللاجئون - ويشكلون ضعفي غير اللاجئين في الاردن - كما ورد سابقا . ويشكلون تجمعات يسهل حشدها من الفقراء والمشردين من الفلاحين واللاجئين مجددا وقطاع عمالي ناشئ وقطاع من البورجوازية الصغيرة .. يجمعهم جميعا الفقر والتشرد والتعرض لعمليات القمع من قبل القوات الصهيونية، وقد هاجر عدد منهم الى المدن والمرتفعات قاست أكثر من غيرها من المؤامرات لتصفية قضية فلسطين . وقاست من رداءة احوال المعيشة ومن العطالة ومن القمع المباشر بواسطة الغارات الصهيونية وحملات أجهزة الامن الاردنية . ان تجمعات اللاجئين هذه لها تاريخ طويل مع عمليات التاجيل والوعود التي خيبت امالهم . بالنسبة لتجمعات اللاجئين لا مجال للايمان بإمكانية ايجاد حل سلمي للمشكلة من

طريق الامم المتحدة او التزاما بقرار مجلس الامن الذي تتمسك به كل انظمة الحكم العربية القائمة . فرصيد الامم المتحدة مع اللاجئين ان « الجعية الهامة نظرت في قضية فلسطين في الامن فقد نظر في القضية في ٢٥٠ اجتناعا واصدر ٤٢ قرارا . ٢٠ دورة في ٦٥٧ اجتناعا واصدرت ٨٨ قرارا . اما مجلس وقد شكلت الامم المتحدة ٥٥ لجنة خاصة بفلسطين في عشرين سنة « ١٩٤٧ - ١٩٦٧ » . « ١ » : ان قرار مجلس الامن في تشرين الثاني ١٩٦٧ ما هو الا قرار يضاف لـ ٤٢ قرار سابق، كلها محفوظة في نيويورك، وكلها لا تتعدى كونها عمليات تضليلية وتمويه عن دعم الامبريالية العالمية للصهيونية وعجز الطبقات العربية السائدة عن مواجهة الصهيونية بمواجهة حقيقية .

وهكذا فان ٧٠ بالمائة من اللاجئين في الاردن « يريدون العودة دون تردد او شك وهم ينتظرون هذه الفرصة بفارغ الصبر . هؤلاء يتحدثون بحزن عن منازلهم وارضهم واقربائهم والضقة الغربية ويشكون من حياتهم في المخيم وعدم جدواها وتذليلها لكرامتهم وحرمانهم لاولادهم من المدارس . انهم ينتظرون السمحة ، وقد ذكروا انهم في حال عدم استلام السمحة لن يقبلوا بان تستمر حياتهم كذلك فسبحاولون ان

يتسللوا . يعبرون عن هذا الشعور بالرغم من انهم يعرفون صعوبات التسلل . وان هذه الصعوبات تزداد حتى لتكاد تجعل الامر مستحيلا . من هذه الصعوبات انهم معرضون للقتل وانهم على علم بان عددا من المتسللين قد قتلوا . كذلك يعرفون ان التسلل شبه مستحيل بالنسبة للأطفال والمتقدمين في السن « ١ » .

هذا هو الاساس الاجتماعي للحركة الفدائية الفلسطينية التي بدأت عام ١٩٦٤ وانطلقت بعد حرب ١٩٦٧ والتغير في الظروف الموضوعية ، الناتجة عن حرب الايام الستة .

الحركة الفدائية والنظام الاردني

ولكن الحركة الفدائية التي عبرت عن رفض تصفية قضية فلسطين كان لا بد لها من الاصطدام مع الانظمة العربية وخاصة النظام الاردني، كان ذلك قائما قبل حزيران ١٩٦٧ بتوجيهات القيادة العربية المشتركة وبيادارات أجهزة التجمع العربية، وتفاقم الصدام بعد حرب حزيران ١٩٦٧ .

في شباط ١٩٦٨ بدأت محاولة عملية لتصفية العمل الفدائي اذ اذاع وزير الداخلية الاردني - حسن الكايد - بيان اكد فيه ضرورة تصفية العمل الفدائي ، وبالفعل حاصرات القوات

١ - « النازحون : اقتلاع ونفي دراسة اجتماعية علمية » حليم بركات
وبيتر فهود منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ص ٤٩ - ٥٠

الاردنية بعض القواعد الفدائية في الشتونة الشمالية ولكن الضجة الشعبية وصمود حركة المقاومة حالا دون استمرار تلك المحاولة واستقال وزير الداخلية .

وفي شهر اذار ١٩٦٨ ، طلع الملك حسين بتصريحات تقول: كلنا فدائيون، مناقضا بذلك تصريحات وممارسات سابقة ولاحقة وراينا بدايات تعاون بين السلطات الاردنية وبعض قيادات الحركة الفدائية ، خاصة قيادة حركة « فتح » التي ابرزتها معركة الكرامة .

ولكن النظام الاردني حاول من جديد في آب ١٩٦٨ ضرب العمل الفدائي بفرض شروط قاسية على العمل الفدائي تؤدي الى محاصرته . ولكن رفض الحركة الفدائية لشروط القصر دفع القصر للتراجع المؤقت .

وفي تشرين الثاني ١٩٦٨ تحرك النظام الاردني من جديد فدمع قوات البادية - عماد النظام الملكي والتي تسلحت بأسلحة حديثة - الى تطويق وقصف المخيمات بالمدفعية الثقيلة، خاصة مخيم الوحدات ومخيم الحسين في عمان ومخيم الزرقاء ، وكانت المناسبة مشكلة « كتائب القصر » المعروفة . واصطدمت قوات البادية بقوات المنظمات الفدائية التي استشهد منها عدد من الرفاق كما استشهد عدد من اللاجئين والمواطنين . وكان بين قيادات الحركة الفدائية موقفان متغايران : موقف يعتبر المجابهة التي حدثت موجهة لكل الحركة الفدائية .

وموقف وقفته قيادة فتح بادية الامر ويتهم « مكاتب الناصر »
التي دخلت من « الباب الخلفي » للعمل الفدائي وهو موقف
مؤداه السكوت على محاولة تصفية العمل الفدائي . ولكن
الموقف تغير اذ ان المجابهة التي حصلت في المخيمات أدت الى
استخدام قوات البادية والحرس الملكي مع الفدائيين من جميع
المنظمات وخاصة فتح والجبهة الشعبية، وقد اشتركت قواعد
فتح بالقتال جنبا الى جنب مع قوات الجبهة الشعبية اثناء
حصار قوات البادية للمخيمات، بالرغم من انها كانت غير
مقصودة بالضرر في هذه المرحلة ، وبالرغم من التعليمات
الصادرة اليها بعدم اطلاق النار .. » (١)

وبعد وقف القتال بين الفدائيين وقوات البادية، ابلغ الملك
حسين المنظمات الفدائية ضرورة الالتزام بتنفيذ ١٤ بندا ابرزها
اعلام الجيش الاردني بكل عبور لدوريات الفدائيين لنهر الاردن،
منع اشتباك الفدائيين مع العدو من مسافة تقل عن ١٥ كلم
غرب النهر من منطقة العقبة «؟؟» ، منع المنظمات من قبول
الشباب الاردني ممن في سن الخدمة، منع المنظمات من اعتقال
ومحاكمة العناصر التي تتعامل مع العدو، اعلام الامن العام
الاردني بارقام سيارات المنظمات ، حظر استخدام بعض
الممرات المؤدية الى الارض المحتلة، خضوع الفدائيين لكل
اجراءات الحدود عند دخول الاردن، وحق الدولة في محاكمة
الفدائيين .. وقد وافقت قيادات المنظمات الفدائية على هذه
الشروط التي تحكم الطوق حول العمل الفدائي ..

(١) راجع « الحرية » العدد ٤٣٨ الصادر في ١١/١١/١٩٦٨ ص ٤ و ٥

ولكن هذا التراجع من قبل قيادات بارزة في المنظمات
الفدائية لم يكن وليد الساعة ، بل نتيجة لسلسلة من الممارسات
التي تعبر عن ايديولوجيات مختلفة وفاق متباينة حول قضايا
الثورة في فلسطين . هذا التراجع من قبل قيادات بارزة في
العمل الفدائي يرتبط بمواقفها السابقة حول العلاقة بين قضية
فلسطين وقضايا الثورة العربية، ومواقفها التي حافظت على
التبعض التنظيمي للعمل الفدائي، والتي ناهضت المحاولات
القائمة بين صفوف الحركة الفدائية لتطوير النضال الثوري
الفلسطيني سياسيا وعسكريا ليكون قادرا على انجاز مهام
الثورة الوطنية، والتي تخشى بحث المضامين الاجتماعية
لنضال الشعب الفلسطيني .. لذا أصبح ضروريا اعادة بحث
واقع الحركة الفدائية الفلسطينية ودورها وفاقها في الحركة
الثورية لشعب فلسطين والشعوب العربية في المنطقة . ذلك
انه « حين يستمر النضال طويلا ، عنيدا ، حامي الوطيس ،^{٢٢}
تأتي عادة لحظة تظهر فيها نقاط الخلاف المركزية، الاساسية
التي يتعلق على حلها مصير الحملة النهائي وتتضائل ازماءها
اكثر فاكثر جميع احداث النضال الصغيرة » - لينين ، في
« خطوة الى الامام ، خطوتان الى الوراء » - .

طريقان للحركة الثورية

الفلسطينية

في هذا البحث سنتناول بعض القضايا الأساسية التي تواجه الحركة الثورية الفلسطينية. ثم نعود لتلخيص النتائج الأساسية لأجزاء البحث الخمسة جميعها ..

وفي هذا الجزء من البحث سنتعرض لمحدد من المفاهيم السائدة في الحركة الفدائية الفلسطينية وهي عملية ضرورية رغم حدة التحديات العملية التي تواجهها الحركة الفدائية .

هناك عناصر بارزة في قيادات الحركة الفدائية الفلسطينية تتخذ من متطلبات العمل اليومي حجة لتأجيل البحث، وتغذية نقاط الضعف الرئيسية في الحركة الثورية الفلسطينية وهي تعبر بذلك عن أيديولوجية خاطئة تبقى العمل الثوري ضمن حدوده القائمة، بينما تتحرك قوى الثورة المضادة لتحكم الطوق حول العمل الفدائي الفلسطيني لشل فعاليته ازاء محاولات تصفية قضية فلسطين، في نفس الوقت الذي تقدم جماهيرنا الشهيد تلو الشهيد . ان حرص الثوار على تحقيق استراتيجية الثورة وافشال استراتيجية الثورة المضادة يجعل من معالجة النواقص في النضال الثوري قضية ملحة، ذلك ان « نكران الذات ، للأسف، ليس حجة سياسية وليس للشهيد قوة الدليل . وعندما تطول عملية الاستشهاد، وعندها يتحول كل عمل صعب الى الاستشهاد ، فمعنى ذلك ان هناك شيئا لا يسير على ما يرام . وانه « لواجب خلقي » البحث عن هذا السبب ، كما ان تحية الشهداء القتلى أو المساجين واجب ايضا » — « ريجي دوبريه — ثورة في الثورة » .

وفي هذا الجزء من البحث، عندما نتعرض لذكر أي من المنظمات الفدائية، فذلك لتحديد مصدر الرأي المناقض، ويجب الا يكون في ذلك عائقا امام تعميق الحوار وتصعيده وإيجابيته بين الاتجاهات الثورية في المنظمات الفلسطينية، نقول هذا لعلنا ان حركة الجندل تشمل قطاعا واسعا من الحركة الثورية الفلسطينية ولا تقتصر على أي منها .

هول العفوية والنظرية في العمل الفدائي الفلسطيني

من أبرز الظواهر في الحركة الفدائية الفلسطينية ذلك الفصل المتعل بين النظرية والممارسة ، والانسياق وراء فكرة سائدة في العمل الفدائي — خاصة في منظمة « فتح » — تؤكد على عفوية الحركة الجماهيرية الثورية على أساس ان حركة الثورة نفسها تنفرد قوانينها ... وبالتالي فليس من ضرورة للنظرية ..

تعبر « فتح » عن هذا الاتجاه بصيغة واضحة : « نحن نعتبر ان حركة الجماهير هي التي تخلق الجو الملائم حتى تحدث قوانين الثورة آثارها . بل ان حركة الجماهير خالقة هذه القوانين، المهم ان تتحرك الجماهير فحركة الجماهير على صواب دائما » . « ١ »

هذه الصيغة الجذابة تنذر بحركة الجماهير لتغفل جانبها

مهما من الفهم الجدلي لحركة الجماهير في التاريخ ، وهي حركة ليست اختيارية ، وانما تحتها تناقضات اجتماعية وسياسية وفكرية في وضع تاريخي محدد ، والجماهير التي تتحرك عفويا ضمن هذا الوضع لا يستطيع وعيها ان يحيط بهذه التناقضات ، وبالتالي فان حركتها قد تصيب وقد تخطيء تبعا لعمق الاشكال التي تتخذها انفجارات الجماهير ومدى تعبيرها عن التناقض الاساسي . وبهذا المضمون يمكننا ان نقول عن العنصر العفوي في حركة الجماهير : « ان العنصر العفوي ليس في الجوهر غير الشكل الجنيني للوعي .. » « ١ »

اما وعي الطلائع الثورية الفلسطينية في فكر حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » فنجد في تأكيدات على اسلوب الكفاح المسلح ، ومحاولة اقتناع الجماهير بجذواه واثبات فعاليتها ، حتى اصبحت هذه المهمة وحدها وكأنها الدليل على « وضوح الفكر وعمق الوعي » لدى الطلائع الثورية الفلسطينية . نقرأ في مقال بعنوان « مبادئ واهداف وشعارات » ما يلي :

« ان قدرة الطلائع الثورية تتجسد في :

١ - وضوح الفكر وعمق الوعي .

٢ - الايمان بالمرحلة في النضال والثورة .

١ - لينين - ما العمل - دار التقدم - موسكو - ص ٣٧ .

ولقد دلت حركة الثورة الفلسطينية على وضوح فكري عندما طرحت شعار الكفاح المسلح كآصرة طريق بين العبودية والحرية واثبتت فعاليتها عندما اثبتت منظمات فلسطينية تسقط من حسابها كل الحلول الاخرى .. » « ١ » .

وهكذا كان تأكيد « فتح » الدائم بانها حركة عسكرية ، وكانت لها ممارسات سياسية مفادها الاستعداد لمصادقة كل من يساعدنا . وفي هذا تجاهل عملي لكون النضال الثوري نضالا عسكريا وسياسيا في نفس الوقت ، خاصة في المرحلة الاولى من النضال ، وفي مرحلة تتعرض فيها الحركة الفدائية الفلسطينية لمحاولات تصفية متكررة . ومن المفيد هنا ان نذكر باحدى دروس الثورة الكويتية : « اذا كان الوضع الحربي صعبا في المرحلة الابتدائية ، فالوضع السياسي لا يقل عنه دقة . فاذا كانت خطيئة جبهة واحدة قد تؤدي الى تدمير الغارات ، فان خطيئة سياسية قد توقف نمو الغارات لمدة طويلة جدا . النضال حربي وسياسي معا ولذا يجب نشره ونهجه على هذا النحو » « ٢ » .

على الصعيد الاخر ، ترى ، في معالجتنا لظاهرة العفوية ان نصف المصيبة - على حد تعبير لينين في « ما العمل » - تغدو مصيبة كاملة ، عندما يظهر « اناس مستعدون لان يجعلوا من النقيصة فضيلة وحاولوا حتى ان يبرروا نظريا

١ - الثورة الفلسطينية - العدد ١٤ - تشرين الثاني ١٩٦٨ .

٢ - ارنستو تشي غيفارا - حرب الغوار وسيلة - الملحق الثاني لكتاب

حرب الغوار - دار دمشق - ص ٢٢٢ .

خضوعهم القليل أمام العنوية وتدبيرهم لها . . وهذا بالضبط ما فعله جورج حداد في مقاله الذي نشرته « الحرية » : « ان الجباهير تقوم بالثورة دون ان يكون استيعاب الوعي الثوري العلمي شرطاً لذلك ، لان حياتها ذاتها تدفعها للثورة . فالصراع الطبقي كان موجوداً قبل ان يكتشف ماركس وانجلز المادية التاريخية » .

ان تقديس العفوية يعيق نمو الحركة الثورية ، ذلك ان ابقاء الحركة الثورية الفلسطينية في اطار التحرك العفوي يعني ابقاها خاضعة لتأثير الايديولوجية البورجوازية العربية السائدة ، التي تعمل لتصفية قضية فلسطين على حساب شعب فلسطين ، خاصة وان الفكر العربي اليميني يمتلك غالبية وسائل الاعلام الساحقة ، بينما لا يمتلك الفكر الثوري الفلسطيني والعربي الا وسائل اعلام محدودة هي غالبا تخطيماته التي ما زالت في عهد طفولتها .

الا ان عدم تقديس العفوية يجب ان يترافق مع جهد
دائب بحيث « يحسن توجيه الحركة العفوية وصيانتها سواء
من اغلاط الإبدعاء او من احابيل الاعداء » (لينين — ما
العمل » .. والحركة الفدائية الفلسطينية اليوم تلقى اشادة
بها من قبل الرجعية العربية ؛ ولكنها تلقى منها الضربة
تلو الضربة في عملية مد وجزر مع العمل الفدائي — خاصة في
الاردن — ذلك ان الحركة الثورية الفلسطينية اذ تتحرك
اعتمادا على عفوية التحرك الجماهيري تبقى المبادرة في يد

١ - العدد ٤٤١ - ٢ - ١٢ - ٦٨

السلطات الرجعية الحاكمة التي تسمح بالعمل الفدائي في حدود الضغط على العدو لاقتسام الغنائم من خلال الحلول السلمية ، وتسمح بالعمل الفدائي في حدود الضغط غير المباشر على الجماهير العربية للحفاظ على الأوضاع العربية الراهنة ، ولكنها تضرب العمل الفدائي كلما كان في تحركه مبادرة ثورية لفك ارتباطه بالرجعية العربية ، وكلما كان في تحركه تشجيع لحركة الجماهير العربية لذلك مصالح الرجعية العربية والأمبريالية العالمية التي تتحكم بالجماهير العربية من خلال الشركات الأجنبية الاحتكارية والرجعية العربية المهيمنة .

بالمعاني، وهو نفس الدرس الذي عانت وتعاين منه الحركة الثورية في أجزاء أخرى من العالم. يقول دوبريه عن العصابت الثائرة في أمريكا اللاتينية :

« العصابات الثائرة لا يمكنها ان تتطور عسكريا، الا بشرط ان تتحول الى طليعة سياسية . وكلما كانت عاجزة عن احكام خطها السياسي بنفسها كلما بقيت «عصابات للضغط» او للالهاء السياسي، وتتجدد، مهما كانت نجاحات اعمالها الجزئية . وكيف تأخذ زمام المبادرة ؟ من اين تأتي اليها مغنوياتها ؟ هل تعتقد انها مستترك لتقطع شوطا بعيدا ، واذا لم يرد لها ان تجمع حولها طاقات الشعب وأمله، مما يحولها بطبيعة الامور الى قوة قيادية ؟ ان العصابات الثائرة بحاجة، لكي تنتصر عسكريا، الى ان تجمع سياسيا من حولها اغلبيّة الطبقات المستقلة «بفتح الفين» لانها كفاح جماهيري. » (١) »

١ - ريجيه دوبريه - ثورة في الثورة - دار الاداب - ص ١٢٧ .

حول الحركة الثورية الفلسطينية وقضية الثورة العربية :

لسنا بصدد تحليل مفصل لظروف الحركة الثورية العربية في هذا البحث، ولكننا سنتناول أبرز مواقف الحركة الثورية الفلسطينية تجاه قضية الثورة العربية في محاولة لتبيين حدود التعاضد وحدود التناقض بينهما نتيجة مواقف الحركة الثورية الفلسطينية .

من المعلوم ان للامبريالية العالمية مصالح أساسية في المنطقة ابرزها النفط العربي . ومن الظاهر، انه على اثر عجز الحركة الاشتراكية وحركات التحرر الوطني عن ايجاد استراتيجية ثورية واحدة « من أهم اسباب ذلك افكار سياسة التعايش السلمي السوفياتية؛ وطبيعة العديد من حركات التحرر الوطني الوسطية » ، فان الامبريالية العالمية باشرت في السنوات الاخيرة هجوما مضادا للثورة ، وتخلى الاستعمار الاميركي عن سياسة التعايش مع الانظمة الوطنية التي خرجت عن حلقه سيطرته دون ان تنهي الاطر الاقتصادية التي تفرضها علاقات التبادل في السوق الرأسمالية العالمية ، ودبر سلسلة انقلابات رجعية في اندونيسيا وغانا وغيرها .. وكان من الطبيعي ان يساند كل تحرك مضاد للثورة في الوطن العربي .

ومن المعلوم ايضا ان الرأسمالية اليهودية التي نمت على اكتاف الحركة الصهيونية العنصرية ونشاطها الاسكاني

ومساندة بريطانيا ودعم الولايات المتحدة وسائر قوى الامبريالية العالمية ، وصلت الى ازمة اقتصادية اخذت تتفاقم عام ١٩٦٥ اثر وقف تدفق رؤوس الاموال الاجنبية عليها ، كما ذكرنا فيما سبق، واصبح لديها دوافع حقيقية للتوسع وللوصول الى تعايش سلمي دائم مع باقي دول المنطقة . وبالفعل فقد باشرت منذ ١٩٦٤ استعداداتها العسكرية بهدف التوسع معتبرة بشكل خاص على الاسلحة الاميركية والالمانية ، وبشكل اقل الفرنسية والانكليزية .

ومن المعلوم انه كان وما يزال قائما في الدول العربية المتخلفة انظمة بالية تنوكت على الاستعمار العالمي الذي يعتمد عليها للحفاظ على استغلاله الفاحش لخيرات المنطقة « خاصة البترول » وجهود شعوبها، لقاء مشاركة محدودة للبورجوازية العربية وبقايا الاقطاع في عائدات الشركات الاستعمارية من خيرات المنطقة ، او لقاء منح شهرية تصرف كرواتب لاجهزة الدولة القمعية وموظفيها، أو مقابل استقرار مزيف يعود على البورجوازية المصرفية - التجارية بقسط من ارباح الشركات والمؤسسات الامبريالية المهيمنة .

ومن المعلوم ان الانظمة المتقدمة في بلدان عربية اخرى ، خاصة في مصر، في مدامها السياسي مع الامبريالية العالمية، وتحالف الاقطاع والرأسمالية الكبيرة ، قد قامت بسلسلة من التأميمات المتتالية، حولت القيم على السلطة السياسية فيها الى نواة بورجوازية دولة تسيطر على فائض الانتاج

الشعبية المسلحة، وهو ما يتعارض مع المصالح الطبقية
الخالصة للأنظمة القائمة التي تبقى على العلاقات الاقتصادية
مع السوق الرأسمالية العالمية ..

ومن الواجب بالتالي، وفي مواجهة العلاقات الاستعمارية
التي تحضن إسرائيل والأنظمة العربية المتخلفة وتلجم الأنظمة
العربية المتقدمة وتدفعها الى تراجع يحمي في نفس الوقت
الأنظمة المتخلفة ، ان تصبح المهمة الأساسية للشعوب
العربية في نضالها ان تبني احزابا الماركسية - اللينينية -
احزاب العمال والفلاحين - التي تقود جبهة وطنية معادية
للاستعمار والصهيونية والبورجوازية العميلة وبقياء الاقطاع.

ومن المعلوم ايضا ان الحركة الفدائية الفلسطينية مثلت،
خاصة بعد حرب حزيران، الأمل الأكثر اشراقا للشعوب
العربية . فماذا كان الفكر السائد في الحركة الفدائية
الفلسطينية يطرح على الجماهير العربية في محتيا ؟ - نقول
الفكر السائد في الحركة الفلسطينية لان مواقف كافة المنظمات
الفدائية كانت متشابهة عمليا في هذا الصدد - بما في ذلك فتح
والجبهة الشعبية ومنظمة التحرير -

كان على الحركة الثورية الفلسطينية والعربية ان تشرح
الدرس اللينيني القائل : « ان ما ينبغي لنا هو ان نعرف كيف
نوضح للجماهير ان طابع الحرب السياسي والاجتماعي لا
يحدده « حسن ارادة » الافراد والفئات وحتى الشعوب ، بل
يحدده وضع الطبقة التي تخوض الحرب سياسة هذه

ونستهلكه على حساب الانطلاق في عملية التنمية الاقتصادية
التي باشرتها . وكان هذا يترافق بطبيعة الحال مع خنق كل
محاولة ترمي الى تنظيم العمال والفلاحين او تفرض رقابتهم
على الادارة والجهاز العسكري . ولم تستطع هذه الانظمة
المتقدمة ، التي تحكمها بورجوازية الدولة والبورجوازية
الصغيرة ، ان تخرج من دائرة السوق الاستعمارية العالمية
التي توفر لها حاجاتها الاستهلاكية ، وقد فشلت هذه الانظمة
في تعبئة العمال والفلاحين في اقطارها ..

هذه الانظمة المتقدمة ، وقد هزمت في حرب حزيران ،
باشرت عملية تراجع مستمر بعد الهزيمة ، من مظاهرها
القبول بقرار مجلس الأمن ، واعتبار اسرائيل « احدى الحقائق
المقبولة في الشرق الاوسط » . وجولات وزراء الخارجية .
والسكوت على مفاوضات الاردن واسرائيل والتوجه
الاستعماري الى الولايات المتحدة ، والترحيب بسكراتون ،
وتعليق الامال على نيكسون ..

ومن المعلوم ، بالتالي ، انه في ظل الهجمة الامبريالية
الصهيونية ، وتراجع الانظمة العربية المتقدمة ، فان ضداما
جديدا في المنطقة بين القوات الصهيونية والجيوش العربية
النظامية يحمل بذور هزيمة جديدة ، ومن الواضح بالتالي
ان الحرب الفعلية التي يمكن ان توفر امكانيات النصر على
التقنية الامريالية الاميركية المتفوقة تقتضي الدخول في عملية
صدام شعبية واسعة في حرب طويلة الامد تعتمد الجماهير

الطبقة ، التي تكون الحرب استمرارا لها ، وعلاقات الراسمال بوصفه القوة الاقتصادية المسيطرة في المجتمع الحالي . والطابع الاستعماري للراسمال العالمي .. »

لكن الحركة الفدائية الفلسطينية بكافة اطرافها تحاشت كل بحث في قضايا المجتمع العربي ، وبحث يدها للتعامل مع الانظمة القائمة .

يقول تقرير اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير للمجلس الوطني الفلسطيني في تموز ١٩٦٨ في معرض تعداد أسس وحدة العمل الفلسطيني :

« — تكريس الجهود للعمل الوطني الفلسطيني في سبيل التحرير ، وعدم التدخل في شؤون أي قطر عربي أو في أي خلاف لا علاقة له بالقضية الفلسطينية .

— العمل على تعبئة الجهود القومية ، وتوحيد الطاقات والامكانات العربية ، ووضعها في خدمة القضية الفلسطينية للانتقال بالنضال المسلح الى حرب تحريرية شاملة تخوضها الامة العربية بأسرها ، وفي طليعتها الشعب العربي الفلسطيني .

— التعاون الوثيق بين العمل الوطني الفلسطيني ، والعمل العربي الرسمي على أساس التحرير . »

والنتيجة « ان اللجنة التنفيذية وهي تتحدث في هذا المقام عن ضرورة توحيد العمل الوطني الفلسطيني ، تود ان تؤكد بان العمل الفلسطيني لا يعنى من العمل العربي ، وليس

« ١ » — لينين — موضوعات نيسان — دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية

— موسكو — ص ٤١ .

اعني ١٩٢٢

بديلا عنه . وانما هو جزء منه ، وظليعة له ، ولذلك تغتنم اللجنة التنفيذية هذه المناسبة لتناشد الشعوب والحكومات العربية لتعبيء طاقاتها ، وتحشد امكاناتها ، وتوحد جهودها تمهيدا لخوض معركة التحرير والمصير التي لا بد من خوضها» « ١ »

وهكذا بعد سنوات من المعاناة لم تستطع اللجنة العربية لمنظمة التحرير ان تقدم اكثر من المناشدة للشعوب والحكومات العربية لتعبئة طاقاتها ، واكثر من المناداة بالتعاون الوثيق مع العمل العربي الرسمي على اساس التحرير ، بينما العمل العربي الرسمي قائم على اساس قرار مجلس الامن المتناقض مع التحرير .

اما الفكر السائد في منظمة فتح فيهمه الحفاظ على ما سمي بالجبهة العربية المساندة . « بالنسبة للعالم العربي فالمعركة تحتم علينا ايضا ان نستقطب جماهير شعبنا العربي المساندة وهذا ايضا يتطلب منا ان نقف نفس الموقف « ٢ » . فندخل في جدل بيزنطي حول الصورة الاجتماعية لنفسنا لحركتنا مساندة كل القوى المخلصة الشريفة في الوطن العربي بغض النظر عن وجهات نظرها الاجتماعية» . « ٢ »

« ١ » — تقرير اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية المقدم الى المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في القاهرة خلال شهر تموز ١٩٦٨ — ص ٢١-٢٢
٢ — من منطلقات العمل الفدائي — دراسات وتجارب ثورية — فتح ص ٦٠

مثل هذا الفكر لا يسدر عن غير وعي، بل هو تعبير واع عن أيديولوجية قومية بورجوازية لا ترى في انتفاضة الجماهير العربية بواسطة أحزابها الاشتراكية الثورية على أنظمتها الرجعية السميكة وبناء أنظمتها الثورية القادرة على كسر التبعية وتخطي التخلفاية علاقة إيجابية بالنضال الفلسطيني.

وأخطر من هذا أن في قيادة فتح من يعتقد أن الثورة الاشتراكية في داخل كل قطر تتناقض في سيرها مع الثورة الفلسطينية. ويدعو هؤلاء إلى الحياد وتاجيل تحسس الجماهير داخل أقطارها للجانب الاقتصادي والاجتماعي من المشاكل القطرية :

« أن الجماهير يجب أن ترى بوضوح ما تحس به وتستشعره لذلك فإنها اقرب إلى التفاعل بالنسبة لمشاكلها القطرية وهي تسير في طريق بناء مجتمعها الوطني وتحقيق منجزات تخدم مصالحها أكثر من تفاعلها بالقضية الفلسطينية. أن اهتمامها بالمشاكل القطرية التي تعيشها يوميا سيسببها بالترهل الثوري بالنسبة للقضية الفلسطينية ويضبح الاستقرار المادي والسياسي هدفا عميقا من أهدافها الحياتية تسعى بكل جهدها لتحقيقه ناسية أو متناسية أهدافا قومية أخرى . وبهذا القول نعني أن الهدف القومي « تحرير فلسطين » سيتناقض مع الهدف القطري « تحقيق الرفاهية الشعبية وبناء الاشتراكية » (١) »

١ - تحرير الاقطار المحتلة - دراسات وتجارب ثورية - ٨ - فتح -
ص ٢٢ - ٢٣ .

كذلك فقد رفعت « فتح » شعار « عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي بلد عربي » وذلك من أجل « استيعاب كافة الطاقات والفئات الفلسطينية والعربية » لتحرير الأرض الفلسطينية (١) .

من الطبيعي أن الحركة الثورية الفلسطينية ليست مطالبة قط بالقيام بمهام الحركة الثورية في الاقطار العربية . أما رفع شعار عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي بلد عربي، في ظل الفكر المعادي للاشتراكية والمعبر عنه أعلاه ، فإنه يقود في الظاهر إلى استيعاب الطاقات والفئات العربية « وهو ما يظهر في تجربة فتح من اقبال على الانخراط في صفوفها ، إلى دعم مادي وعسكري من جميع الاوساط ، إلى رضى الانظمة العربية وأغداقها الأموال عليها خاصة الكويت والسعودية .. » ، ولكن هذا الاستيعاب للطاقات ، في الوقت الحاضر ، يسير لصالح الانظمة العربية القائمة ، ولصالح الطبقات الحاكمة ، وهي الطبقات المستعدة والعاملة من أجل تصفية قضية فلسطين أيضا .

أما الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فقد مارست أيضا نفس السياسة ، ورغم نقدها العلني لوقفها، الذي جاء نتيجة ضغط العناصر اليسارية في الجبهة، فإن ذلك لا يعفيها في حقيقة الأمر من ممارسات خاطئة أملت عليها الإنكار البورجوازية الوطنية والبورجوازية الصغيرة السائدة في قطاع تنظيمها . تقول الجبهة :

« وهكذا ، وبالقوائم الملموسة تحول الشعار الديماغوجي

١ - دراسات وتجارب ثورية - رقم ١١ - فتح .

« عدم التدخل بالامور العربية » الذي طرحه اليمين الرجمي الفلسطيني وانسأقت وراءه كل فصائل حركة المقاومة .. تحول موضوعيا وعمليا « الى عدم التدخل بالشؤون الفلسطينية » . ان الجبهة الشعبية تقف علنا لتدين « هذا الشعار بالمضامين التي مورش بها طيلة الخمسة عشر شهرا الماضية » : وهي بهذا تدين وتندد علنا خطأ ممارستها لهذا الشعار وتحذر كافة الفصائل الوطنية الشريفة من حركة المقاومة من خطر الانسياق وراء مثل هذه الشعارات الديماغوجية على القضية الفلسطينية في المرحلة الراهنة « — كما جاء في التقرير السياسي الذي اذاعته الجبهة الشعبية مؤخرا والذي كان يعكس تحليل الجناح اليساري — الماركسي — اللينيني — في الجبهة الشعبية . « ١ »

ان تحالف غالبية قوى المقاومة الفلسطينية مع الانظمة العربية القائمة هو تحالف يساهم في طمس الحركة الاجتماعية العربية وهو تحالف يضمن الهزيمة لقوى المقاومة الفلسطينية .. ذلك ان الانظمة القائمة يهملها ان تظهر امام الجماهير بمظهر « كلنا فدائيون » ، لكن مع احتدام الصراع تتكشف تناقضاته الاساسية، ومع تهديد مصالح الانظمة القائمة — وهي مصالح مرتبطة بمصالح الامبريالية العالمية وخاصة الولايات المتحدة الامريكية — ستجد منظمات المقاومة الفلسطينية نفسها دون سند مادي وهي المعتمدة الان على مساندة الانظمة القائمة . واهم من ذلك فان « اصدقاء » اليوم

١ — الذي انشق فيما بعد وشكل الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ، بناء على التقرير المذكور المعروف بتقرير آب .

سيمصبحون فجأة في جبهة مناهضة للحركة الفدائية الفلسطينية وهي جبهة تساهم الحركة الفدائية الفلسطينية في ايجادها دولا الاستعداد الفعلي لها .

حول الوحدة الوطنية الفلسطينية :

ان التاريخ الفلسطيني المعاصر يعلمنا درسا كبيرا من دروس الوحدة الوطنية ويظهر لنا نقطة الضعف الاساسية في أي جبهة وطنية فلسطينية يمكن ان تقوم ...

لخص تقرير الجبهة الشعبية المذكور جانبا بارزا من جوانب الجبهة الوطنية الفلسطينية منذ الثورة الفلسطينية في العقد الرابع من هذا القرن : « .. اندلعت الثورة » ثورة سنة ١٩٣٦ « بمبادرة ذاتية منذ عام ١٩٣٥ ، — من عناصر كادحة وفقيرة « ومن ابرزها رجل دين فقير هو الشيخ عز الدين القسام الذي رفضت الاقطاعية الدينية — الحاج أمين الحسيني — تعيينه خطيبا في احد المساجد بعد ان علمت بلون نزعاته الوطنية « واستجاب لها الفلاحون والفقراء في الريف وعمال المدن، ومنذ اللحظة الاولى لاندلاع الثورة ، رفضت القيادات الاقطاعية الدينية « الحاج أمين الحسيني « والبورجوازية الكبيرة « احزاب العائلات البورجوازية كحزب الدفاع ، حزب الاستقلال .. الخ » الاستجابة لنداء الثورة . ولم تكف بذلك بل رفضتها وطلبت باعتماد الوسائل السلبية لانتزاع الحقوق الوطنية « كالمذكرات ، والمظاهرات ،

والمباحثات .. » وعندما ثبتت الثورة المسلحة اقدامها
فرفضت بالقوة على الاحزاب القطاعية والبورجوازية ان تجتمع
وتعلن تأييدها للثورة .

وهنا وجدت هذه القيادات الرجعية المتخاذلة والمتهادنة
مع الاستعمار بحكم كونها ترفض العنف المسلح ، وجدت
نفسها غير قادرة على اجهاض الثورة من الخارج فاعتمدت
خط اجهاضها من الداخل وكان لها ما ارادت ، فبعد ثلاث
سنوات من الثورة المتصلة تمكنت هذه القيادات من محاصرة
الثورة واجهاضها بقرار ونداء موجه من الملوك والرؤساء
العرب بانهاء الثورة ، وتولى الحاج امين الحسيني امر
توجيهه الى الثوار وتنفيذه مع وعد بالدخول في مفاوضات
مع « الحليفة » بريطانيا لتتفهم حق شعب فلسطين في تقرير
مصيره ونيل استقلاله .

« وقد وقفت هذه القيادات القطاعية والبورجوازية ذاتها
على رأس الحركة الوطنية الى ان اوصلتها الى نكبة ٤٨ ،
والحركة الوطنية مضروبة وممزقة وغير مؤهلة للقيام بأي دور
وطني فعال ، فاستسلمت للانظمة العربية القطاعية -
البورجوازية المتحالفة مع الاستعمار لتحديد النكبة وقيام
اسرائيل . وبعد نكبة فلسطين وعلى امتداد العشرين عاما
حتى حزيران ١٩٦٧ ، اعلنت هذه القيادات انحيازها
لصالحها الطبقية والسياسية وانضوت تحت جناح الانظمة
العربية الرجعية المسؤولة عن نكبة ٤٨ ، وذاق الشعب

ضوى
نفسه
١٩٦٧
٢٠٦

الفلسطيني على ايدي هذه القوى الطبقية الرجعية الوليات
ممثلة بمشاركتها الفعالة في عمليات القمع لحركة التحرر
الوطني الفلسطينية وفي تضليل الجماهير الفلسطينية بانتظار
معجزات لا وجود لها في وجه الاستعمار والامبريالية وعصر
العلم والتكنولوجيا .

وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، جرت محاولات لتوحيد
المنظمات الفدائية الفلسطينية ، وكان ابرزها تشكيل المجلس
الوطني الفلسطيني . فقد « رأت اللجنة التنفيذية لمنظمة
التحرير الفلسطينية ، ان قيام مجلس وطني للمنظمة تتلاقى
فيه القوى الوطنية الفلسطينية العاملة ، هو الخطوة الاولى
على طريق تحقيق وحدة العمل الفلسطيني في جميع المجالات
والميادين ، وحرصت اللجنة اشد الحرص على قيام هذا
المجلس الذي اسهمت في العمل على قيامه جميع القوى
الفلسطينية العاملة .. ان اللجنة التنفيذية ، انطلاقا من هذا
التصور ، وتأكيدا لهذا المفهوم ، وشعورا بهذه المسؤولية ،
تري انه لم يعد بد من وضع الشعارات التي نص عليها الميثاق
القومي الفلسطيني موضع التنفيذ ، وهي الوحدة الوطنية
والتعبئة القومية ، والتحرير ، وليس من جهة اقدر على
تحقيق هذه الشعارات من المجلس » .. « ١ »

وواقع الامر انه لم يكن من جهة اعجز عن تحقيق تلك

١ - تقرير اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية القسم الى
المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في القاهرة خلال شهر تموز ١٩٦٨ -

ص ٢٠

مثال

الشعارات من ذلك المجلس، وهو المجلس الوطني الذي « جمع كل ممثلي الرجعية الفلسطينية ، وعلى رأسها « شلة المليونيرة » من اصحاب البنوك وكبار المقاولين التي اشترطت ان تكون على رأس المجلس الوطني ، بينما حركة المقاومة ذراعها الايمن والايسر « فتح » والجبهة الشعبية » . »

ولم يكن غريبا ان يبقى ذلك المجلس الوطني العاجز على اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير هروبا من تحمل اي مسؤولية فعلية .

١٠٨

وفي خضم محاولات توحيد العمل الفدائي الفلسطيني ، كان لفتح تجربة بارزة اخرى . اذ بينما تقول « فتح » : « ان وحدة الحركة الثورية لا يمكن ان تتحقق عن طريق التقاء الجبهات الفلسطينية في تنظيم جبهوي واحد ، لان ذلك يعني ان الحركة الثورية سترث عن هذه الجبهات دوافعها الانتهازية او التكتيكية » (١) ، فني كانون الاول ١٩٦٨ ، وبينما رجالات منظمة التحرير يتصلون بأطراف فتح والجبهة الشعبية في محاولة لتوحيد المنظمات المقاتلة، دعت « فتح » الى مؤتمر في القاهرة « من اجل توحيد المنظمات الثمانية التي حضرته » ، في مجموعات عسكرية ثلاث هي : العاصفة ، الصاعقة ، وفرقة خالد بن الوليد ، وذلك على النحو التالي : توحدت قوات كل من : حركة التحرير الوطني الفلسطيني ، فتح ، جبهة تحرير فلسطين « ج.ت.ف » حركة الشباب

١ - كيف تنجر الثورة الشعبية المسلحة - دراسات وتجارب ثورية
٢ - فتح - ص ٢٠

الثوري الفلسطيني ، الهيئة العاملة لدعوة الثورة وتقرر ان تصدر بلاغاتها باسم « قوات العاصفة » ، كما توحدت قوات كل من : طلائع حرب التحرير الشعبية ، جبهة التحرير الشعبية الفلسطينية ، جبهة ثوار فلسطين ، وتصدر بلاغاتها باسم « قوات الصاعقة » . وتقرر ان تصدر بلاغات منظمة طلائع الفداء باسم فرقة خالد بن الوليد . ورات منظمة التحرير في هذه الدعوة تخطيا لها في جهودها وهي التي تعتبر نفسها ممثلة للكيان الفلسطيني فرفضت الاشتراك فيه ، كما رفضت الجبهة الشعبية حضوره بسبب ما تقول من ان الدعوة وجهت الى ثمانية منظمات صغيرة لم يكن لها وجود حقيقي جماهيري ولا وجود جاد على أرض المعركة » .. (١)

وهكذا نرى ان الجبهة الوطنية الفلسطينية كانت وما زالت تتقاذفها اهواء البورجوازية الفلسطينية تارة ، والاتجاهات الانتهازية تارة اخرى .

ولكننا حين نبحث عن الشكل الافضل للوحدة الوطنية الفلسطينية القادرة على تحقيق انجازات تحررية، علينا ان نعود الى واقع الشعب الفلسطيني لنبحث عن حدود سلوكها الثوري وبالتالي دورها في اطار الجبهة الوطنية . وكما يقول ماوتسي تونغ « من هم اعداؤنا ؟ ومن هم اسدقائنا ؟ هذه مسألة في الدرجة الاولى من الاهمية بالنسبة للثورة .. وعلينا ، لكي نميز بين هؤلاء واولئك ، ان

١ - الفدائيون الفلسطينيون في ميدان القتال - سعد زغول غواد - ص ٤٣ - ٤٤

نقوم بتحليل عام للوضع الاقتصادي لمختلف الطبقات في المجتمع ... ولوقف كل منها تجاه الثورة » ..

في الجزء السابق من هذا البحث — عن شعب فلسطين ورفض تسوية قضية فلسطين — رأينا ان هناك طبقة قليلة العدد من بقايا الاقطاع والبورجوازية العميلة التي تتعاون مع العدو في فلسطين أو تشكل جزءا من البورجوازية العربية العميلة للامبريالية العالمية وان هناك البورجوازية الوطنية التي يقف جزء منها في صف الحركة الوطنية وجزء يتبع البورجوازية العميلة ولكنها في الحالتين على استعداد للتفاوض مع العدو واقامة الحوار معه تبعا لمقتضيات مصالحها . أما البورجوازية الصغيرة فرائنا ان جزءا منها يتعامل مع العدو والعملاء بشكل انتهازى ولكن غالبيتها — وهي طبقة كبيرة العدد نسبيا — في صف الحركة الوطنية خاصة اذا خضعت لعملية تثقيف بمبادئ الجماهير الأكثر ثورية من العمال والفلاحين . أما طبقة العمال فهي وان كانت تمثل الطبقة الأكثر تقدما من حيث المعاناة الاجتماعية والاضطهاد الوطني ومن حيث افاقها الايديولوجية، فهي طبقة محدودة العدد ومبعثرة بفعل الظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة ، وهذا يحد من فعاليتها في الثورة الوطنية كطبقة مستقلة، ولكن تطور الثورة الوطنية على الصعيد العالمي والمحلي يدفع هذه الطبقة وايديولوجيتها المتقدمة الى وضع قيادي في حركة التحرير . أما طبقة الفلاحين فهي غالبية الشعب وهي التي تعاني من عمليات

القمع والتشريد وهي التي تشكل مصدرا اساسيا للطبقات الصاعدة وهي المرتبطة بالارض وهي التي تجرد من ملكيتها للارض بواسطة الاجهزة البيروقراطية والعسكرية التابعة للراسمالية اليهودية ، وطبقة الفلاحين بالتالي هي القوة الانسانية للثورة، مع التأكيد ان طبقة العمال هي الأكثر تقدما مما يؤكد اهمية اعتماد ايديولوجية طبقة العمال ايديولوجية اولى في مسيرة الثورة . اما تجمعات اللاجئين، فقد رأينا انها لا تشكل طبقة مميزة وانما تجمعنا من العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة، يجمعهم الفقر والتشرد ويسهل إمكانية حشدهم القمع المتواصل لهم ..

وهكذا نرى انه، على صعيد شعب فلسطين ومقابل الجبهة المضادة للثورة المكونة من الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة والراسمالية اليهودية وحركتها الصهيونية وبقايا الاقطاع والبورجوازية الوطنية والبورجوازية الصغيرة ، تتشكل جبهة للثورة مكونة من العمال والفلاحين وغالبية البورجوازية الصغيرة وقطاع واسع من البورجوازية الوطنية .. ونلاحظ ان جبهة الثورة الفلسطينية في صراع عنيف الان مع الراسمالية اليهودية وحركتها الصهيونية ، وفي صراع مع بقايا الاقطاع والبورجوازية العميلة تبعا لتكشف المواقف غير الوطنية لبقايا الاقطاع والبورجوازية العميلة ، ومع ان جبهة الثورة الفلسطينية ليست في صراع عنيف او مباشر مع الامبريالية العالمية واجهزة القمع الاميركية حتى

الآن ، إلا ان احتدام الصراع في المنطقة والتبديد المتزايد لمصالح الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة - وهي مصالح متزايدة في الشرق الاوسط بحكم ثرواته النفطية - سيدفع الامبريالية العالمية ، وبشكل أخس الولايات المتحدة الأمريكية الى مزيد من التدخل غير المباشر بشكل أسرع مما نتوقع .

وفي مثل هذا التطور الحتمي لن تجد الثورة الفلسطينية على امتداد الأرض العربية « وكذلك على الصعيد العالمي » سندا لها الا في جبهة الثورة العربية المناهضة للامبريالية العالمية والصهيونية وبقايا الاقطاع والبورجوازية العميلة ، وهي جبهة العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة وقطاع من البورجوازية الوطنية بقيادة أحزاب عربية ثورية تلعب دور الطليعة الثورية للطبقات الأكثر ثورية - العمال والفلاحين .

ولكننا نجد بالمقابل قيادات من البورجوازية الوطنية والبورجوازية الصغيرة الفلسطينية تدفع بالحركة الثورية الفلسطينية الى الخضوع لتحرك الانظمة العربية القائمة ، وتثبيتها ، وهي انظمة بقايا الاقطاع والبورجوازية العميلة والبورجوازية الوطنية الفاشلة . هذه القيادات الفلسطينية « وهي بارزة في مواقع قيادية في فتح وقطاع من الجبهة الشعبية وفي قيادة منظمة التحرير » تدفع بالحركة الثورية الفلسطينية الى الجبهة العربية المضادة للثورة ، وهي بذلك

١١٣
١١٣
١١٣

ترسي أساسا لغدر قوى الثورة المضادة في الوطن العربي بالحركة الثورية الفلسطينية التي تخوض صراعا عتيفا مع الرأسمالية اليهودية وقواتها القمعية - ابرز عناصر جبهة الثورة المضادة في المنطقة من حيث التحرك العنيف في هذه المرحلة .

وعلى الصعيد الاخر نجد قطاعا من الحركة الثورية الفلسطينية ، يمثلها اتجاه يساري في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، يقارب الحقيقة في الحديث عن الجبهة الوطنية الفلسطينية اذ يقول :

« ان الوحدة الوطنية الفلسطينية ضرورة وطنية سياسية ولكن اية وحدة وطنية ؟ انها الوحدة الوطنية التي تحقق انجازات تحررية وتقود حركة المقاومة على طريق النصر بتعبئة الجماهير العربية وتسليحها واستنهاض هممها الوطنية والجزرية والجماعية على طريق حركة مقاومة طويلة الابد تعتمد على العنف في مواجهة عدو يعتمد على استراتيجيات الضرب بسرعة وتحقيق الانتصار بسرعة . وهذه الوحدة هي وحدة جميع الطبقات الثورية التي حملت السلاح على امتداد تاريخ فلسطين الحديث ، وحمل ابناءؤها السلاح بعد حزيران . ان تاريخ شعب فلسطين الحديث ، وتاريخ حروب التحرير الشعبية في جميع البلدان المتخلفة ، تثبت ان طبقة العمال والفلاحين هي الطبقة المستعدة لحمل السلاح والقتال في حرب طويلة الابد ، تعتمد على الذات لحدح اعداء التحرر الوطني من امبرياليين وعملاء » . .

لكن يسار الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يغفل قضية أساسية هي شرط تنظيم « طبقة العمال والفلاحين الفقراء » في حزبها الطليعي ، وهو الشرط الذي يستحيل بدونه انتصارها . ذلك ان يسار الجبهة الشعبية وهو في منشأه من البورجوازية الصغيرة ، وبعد ان يؤكد على كون « ايدولوجية البورجوازية الصغيرة غير قادرة وغير مؤهلة لحل معضلات التحرر الوطني » ، يبحث عن طريق خلاصه — وخلاص البورجوازية الصغيرة المتحيزة للثورة — : « ان طريق الخلاص الوطني يبدأ بالتسلح بسلاح الافكار الثورية ، افكار الطبقات الثورية في أي مجتمع . افكار العمال والفلاحين الفقراء الذين يخوض أبنائهم اليوم المقاومة المسلحة على أرض فلسطين » .

وان يسار الجبهة يجب ان يدرك ان تنظيم جماهير العمال والفلاحين هو الشرط الأساسي لتحقيق الانتصارات ، وان الكفاح المسلح يستحيل ان يستمر أو يتطور الا من خلال المزيد من الجهد التنظيمي الذي يمثل الكفاح الايدولوجي أحد مظاهره البارزة . ان درسا أساسيا من دروس اللينينية لا بد من وضعه ، وهو : « من المحتم ، انه ... دون العنف الثوري ، فان انتصار البروليتاريا هو ضرب من المحال ، كذلك انه من المحتم ان العنف الثوري ليس ضروريا ولا يشكل وسيلة ضرورية الا في فترة معينة من تطور الثورة وفي حالات خاصة . فالصفة المميزة الأكثر عمقا واستمرارا لهذه الثورة والشرط الأساسي لها ، ولا يزال ، تنظيم الجماهير البروليتارية وتنظيم الشعب الشغيل . فالشروط المثلث للثورة ، وكذلك المصدر العميق لانتصاراتها ، يكمنان بالضبط في هذا التنظيم للملايين من افراد الشعب الشغيل » .

١٤ - لينين - خطاب في نكرى سفر دلوف - ١٨ آذار ١٩١٩ .

الخلاصة

خلاصة القول ان الحركة الثورية الفلسطينية لا بد ان تحول دون خدمتها للثورة المضادة ولا بد ان تسير في طريق الثورة ، وذلك عن طريق جبهة الثورة الفلسطينية :

● جبهة الثورة الفلسطينية المقاتلة ضد الامبريالية العالمية والراسمالية اليهودية وبقايا الاقطاع والبورجوازية العميلة في فلسطين .

● جبهة الثورة الفلسطينية المتحدة في نضالها مع جبهة الثورة العربية المناهضة للامبريالية العالمية — تقودها الولايات المتحدة — والراسمالية اليهودية وبقايا الاقطاع والبورجوازية العميلة في الوطن العربي .

● جبهة الثورة الفلسطينية القائمة على اساس النضال المسلح ضد الراسمالية اليهودية وقواتها القمعية ، العدو الاكثر عنفا في تسلطه في هذه المرحلة .

● جبهة الثورة الفلسطينية القائمة على اساس تحالف العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة وقطاع من البورجوازية الصغيرة وقطاع من البورجوازية الوطنية .

● جبهة الثورة الفلسطينية القائمة على اساس القيادة المطلقة لتحالف العمال والفلاحين في حزب ثوري يسترشد بايدولوجية الطبقة العاملة « الماركسية — اللينينية » ، والفهم المادي الجدلي لظروف مجتمعنا .